أسرد
ASRUD
نشر الكتروني
Des: Aya Reda

خواطر

غبار من الذاكرة

تأليف

بيان الرملي - صفاء طوباسي

غبار من الذاكرة

ASRUD
للنشر الالكتروني

بيان الرملي _ صفاء طوباسي

تأليف / بيان الرملي – صفاء طوباسي

تدقيق / بيان الرملي

تصميم غلاف: آية رضا

تنسيق وتصميم داخلي: مها الجندي

© جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بنسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال وبأي صيغة أو التصرف فيه بأي أسلوب من الأساليب بدون إذن خطي مسبق من الناشر والمؤلف معاً.

الناشر/ أسرد للنشر الإلكتروني

الوتساب الخاص بالدار: 01113536610

البريد الإلكتروني:
asrud.for.e.publishing@gmail.com

إنَّ الآراء الموجودة في هذا العمل لا تعبر بالضرورة عن رأي دار أسرُد للنشر.

الإهداء

وهل الخيبات تهدى أو النزوح يرثى

ضاعت كلمات إهدائي في عزائي

فقد مات فينا فجأة ما نشتهيه ويشتهينا

ASRUD
للنشر الالكتروني

المقدمة:

بين طياتِ الأيام أعوامٌ تنقضي وأعوامٌ تبدأ وبين عامٍ انقضى وعامٍ يأتي، حكايةٌ ترويها صفحاتٌ من كتاب، نبكيها مرة ونضحكُ مرةً أخرى، نعودُ بالذاكرة للحظاتٍ وأيامٍ وساعات باتت ذكريات، نستخلصُ منها الفائدة ونتخطّى فيها ما كنّا قد ظننا أنّه كارثة.

فمن أهدابنا كتبنا لكم نسق الحروف التي بين يديكم، وبشقِ الأنفس بلغنا ذروةَ الأمل الذي نأملُ أن يجتاحَ كل قارئٍ لها، وبروح تسطرها الأنا جسّدنا الحدث وتمكنّا من حبسِ نفسٍ طويل، وكتمِ شهقةٍ مدوية، فروينا فصلاً من القصة.

ربما هي غصاتٌ تعاقبت علينا نوثقها، و وددنا لو نسطرها بهزجاتٍ من أمل، من حب، من شغفٍ للحياة؛ لتهفو على كلِّ روحٍ بائسة، فتنسيها وتقصيها من زمجرةِ الأرق والتعب إلى قمةِ الفرحِ والأمل.

علّها تصبحُ يرقاتٍ من نور تحمل عنا بعضاً من مآسينا، وتضيءُ لنا سبيلاً كان مقصودًا، فنكونُ آنذاك من الحالمينَ الفائزين، بعد أن انقضت عشرين... عشرين بكل ما فيها من دموعٍ وآهات، من صبرٍ وانتظار، من لحظاتِ فرحٍ وإن قلّت كانت موجودة وذاتَ أثرٍ لن ننساه.

انقضت عشرين... عشرين وما زالَ القلب يلهجُ بالدعاء أن تكونَ الأعوامُ القادم منجاةً من كل هم.

انقضت عشرين... عشرين والقلب يرجو أن تصادف أيامنا سعادةً لا يجوبها كرب، أن يكون مع النهايةِ بدايةٌ لفجرٍ جديد تتحققُ فيه الأماني وتُجابُ فيه الدعوات.

انقضت عشرينْ...عشرينْ وودعنا زمنًا عشنا فيه، وكنّا جزءًا من القصة.

انقضت عشرين عشرين وفي القلبِ يقين أنّ القادمَ أجمل.

ASRUD
للنشر الالكتروني

أحلامٌ تُلاحِقُني

على حدِّ قولهم أنّنا هرمنا وقتَ أن تجاوزنا العشـــرين، بتنا ملاحقين لا محلِّقين، تُربطنا أحلامنا بدلَ أن تحلِّقَ بنا، تكسرُنا عاداتنا بدلَ أن تســـمو بنا، تغزونا حرابُ اليأس بدلَ أن نغزوها، استلَّينا السيوفَ فإذا بنا ننحرُ أنفسنا بها بدلَ أن نقطعَ القيود، وعلى إثرها نعود.

فماذا عسايّ أنْ أقول للعشريني الذي يصدحُ بداخلي!

متى البلوغ، فقد عُمي عن المشهدِ المحذوف!

طَـال الانتظارُ يا فتى، ولم تصبح ذاكَ الَمعهُود!

فغُيِّبنا معاً في سرادقَ مظلمةٍ ليسَ بها نور!

قَـــدْ سَـئِمتُ دورانه في مخيلتي وعقوقه لطاعتي فكفَى، فقد أرهقني جبروته الذي احتلّ عقلي، وقســوتهُ التي اســتوطنت قلبي فلم أعد أقوى على مُجابهتهُ وحدي، ومع حِلكَةِ اللَيالي تَزيِدْ.

فـ ماذا عسايّ أن أقولَ أو أزيد؟

ألمْ يرى أني لستُ مذنبًا وأنّ الوطنَ مسلوب!

أم أنَّهُ مُغيِب فعلاً عن واقعٍ مشهود!

كيف لي أن أقنعه أني لم أقف يوماً عن النضال كي أصله ؟!

كيف لي أن أنـاظره عثراتي وســقطـاتِي ومن ثمَّ عفراتي واستلالي للوقوفِ من جديد؟

هل لي من سبيلٍ لأريه عدمَ استسلامي يوماً كما يفعلون؟

مَنْ سيوقفُ طوفانه بداخلي، كي يحقق راحة المنبوذ؟

حَرِيٌّ بكَ أن تكفَّ عني، فأنتَ الشاهِد والمشَهوُد.

كفاك نقمةً عليّ، فلستُ أدري بأي سبيل سيكون النُشود.

قد سـئمتكَ فارَحل، واتركني أضَـيع بلا سـدود أرهقتَنِي بما يكفي، لأصـاب بشـيخوخةِ المسـنِ العجوز، فلا تسـألَ عن انحناء ظهري، قد سـبقه انحناءُ قلبي وتَهاويه، ما عاد ينفعُ أن أكونَ أنا أنتَ؛ فالطريقُ معكوس.

فلأجل كونكَ كَفى، اهِجُرني قد أطلتْ المكوث ولا طائل من الوعود.

إليكَ أكتب أيَّـا حلمي العشريني، قد فرقتنا القيود وبئس العود الموعود.

فـ إلى متى تشقيني، اهجرني قد أطلتَ المكوث.

ASRUD
للنشر الالكتروني

إشاراتٌ مغلوطة

والإنسانية تفوزُ في كلِّ ظرف، كن إنسان قبل أن تكونَ أيّ شيءٍ آخر، كن مزيجًا بين العقلِ والقلب، روحاً بجسد لهُ قوةُ الحوارِ والمنطق، قوةُ اللاعنف، قوةٌ لا ظلمَ فيها ولا إستبداد أو تجبُّر، قوةٌ تُحاكي العقلَ وتلامسُ القلبَ بكل قوةٍ ليّنة تحملُ معاني الرحمةَ والإنسانية.

لفظُ القوّة ليس ما يعنيه التدمير والهمجية وتغييب العقل وإضاعةِ لغة الحوار، القوة في الإحسان تكونُ أكبر، فلو أحسنتَ للناس لامتلكتَ قلوبهم، فطالما استعبدَ الإحسانُ إنسان.

لكن في واقعٍ نعيشهُ اليوم هي ليست إلا ستار وقناع تغطي في الدول وحشيتها تتستر على همجيتهم، تستخدمها بالعلن لتخفي ما وراء الستار، أما ما خفي فالويلُ كلُّ الويل لمن اعترضَ أو رفض.

في العلن يدّعونَ الحوار ولغةَ المنطق ولو أنّهم طبّقوها لوجدتَ دولًا تسودها الديمقراطية، وينتشرُ فيها إحترامُ الحقوق وتقبلِ الرأيِ الآخر والسيادةِ والحضارة، ولكن ما يُحاك في الظلام، وتحتَ الأقنعة وخلفَ الستائر هو ما يجعلها سياسةً لا واقعية واستراتيجية مشكوكٌ بصحتها، يجعلها قوة ناعمة لا يوجدُ خلفها إلا وجهٌ مشوهٌ الملامح من يراهُ يجزع، ويملأُ الخوفُ قلبه، خوفٌ يجعلكَ عاجز عن الإتيانِ بخطوة،

خوفٌ يجعلُ الكلامَ أصـــعب، خوفٌ من الكلام ومنَ التفكير، وحتّى من محاولةِ التغيير.

خوفٌ مرارته كالعلقم، رصـــاصـــةٌ قد لا تقتل ولكن لا بدّ أن تشوّه وتتركَ أثراً لا يزول مع السنين ولا تمحو ندوبهُ الأيام، في لعبة السـياسـة الفوزُ للأقوى، الفوزُ للأذكى، الفوزُ للأكثرِ مكراً والأقوى حيلة والأكثرَ جبروت ولصاحبِ القلبِ الذي لا يرحم، للأكثرِ تنفيـذًا للأوامر دونَ كلمـةِ اعتراض أو حتّى فكرة.

بدأت الدول تلجأ إليه لأنّها وجدت فيها ســـبيلًا لمصـــلحتها، طريقًا ممهدًا بالحيلة، بأســـلوبِ المثل القائل: (طعمي التم تستحي العين).. أي كن المبادر باللطف، الحاني على مصالح الآخرين، كن الرؤوف الذي لا يختفي صـــوته في المحافل الدولية يدعو لحقوق الإنســـان وكرامة المواطن، وحقوق الأقليّات، وحق الحياة الكريمة والإنســـانية وما تفرضـــه المواطنة وما يســـتدعي الانتماء وما يدعو إليه الولاء والاعتزاز، كن المبادر الذي يبطش بيد من حديد كل من يتواطأ أو يتمرّد أو يخرج عن القطيع، فأنتَ صـــاحبُ الكلمةِ الطيبة والداعِ للحوار والذي لطالما حثَّ على علوّ قيمةِ الإنســـانية، وكرامةِ الإنســـان التي هي فوق كل حدود، قناعٌ تُخفي خلفهُ الحقائقَ وتختبئُ خلفهُ النوايا التي لا تحملُ من الطيبةِ حتّى اسمها.

شـــعاراتٌ تُرفع؛ ليبقى التطبيق رمادً تذروه الرياح، رغمَ أنّنا نعيشُ في زمنِ الديمقراطية، في عصـــرِ التكنولوجيا التي وِجدت لتخدمَ الإنسان وتساعدهُ على تحقيقِ غايته ومبتغاه.

ما زلنا نعيشُ في عصر القوّة فيه لصاحبِ العدّة والعتاد، لمن يملكُ تجهيزاتٍ عاليةُ الدقة، وأسلحة متقنةُ الصنع، ما زالت القوة هي الحكَم، فرغم ما يروجونَ له من حرية وتشجيع لغة الحوار واحترام الرأي الآخر والشورى والأخذ برأي الأغلبية وكل ما يقال عنه نتاجُ تقدمٍ عظيم تشـهدهُ البشـرية، ما زالت الدول تُدار بالقوة التي لا تحملُ أيًا من قيمِ الإنسانية ولا حقوقِ المواطن وكرامته.

هو كلامٌ بالهواء، وتبقى الأفعال أبلغُ من الكلام وللأســف لا يتطابق الكلام مع الفعل وكل ما يحدث برهان أننا ما زلنا نعيشُ وفقَ قانونِ الغاب، وتبقى الغابُ وقوانينها تحملُ الرحمة التي نفتقدها، لا نملكُ إلا أن نبدأ بأنفســنا، أن نكونَ نواةَ جيلٍ يُقدّر معنى هذه القوة (القوة الناعمة)، جيلٌ فهمَ أنّ العنف لا يبني وأن الحروب لا تُجدي نفعاً، وأنَّ الكراهية وقودُ نارٍ تأكل، وأول من تأكل من أشــعلها، جيل يُقدِّر الإنســانية بالفعل لا الكلام والتنظير، جيل يملكُ قلبًا رؤوف وعقلًا راجح وعلمًا يُنيرُ له الدروب.

دورنا أن ننشــئَ أمّةً أفرادُها لا يرضــونَ الظلم ولا يقبلونَ الباطل ولا تعلو فيهم إلا كلمةُ حق، جيلٌ يملكُ قولَ لا للباطل، جيل عمادهُ المعرفة لا الأنساب ولا الشهرة، جيل كرامته من

كرامةِ أمةٍ ينتسبُ إليها، ومجتمع يشكلُ جزءًا منه، جيل يسمو بالأخلاق والعلم، جيل كلمةُ الحق عندهُ سلطان، والساكتُ عن الحق شيطانٌ أخرس.

وماذا تعرفُ أنت لتُعاتِب!

ماذا تعرفُ أنتَ عن ألمِ روحٍ وسهادِ قلب؟

عن هفواتٍ تصيبُ بتيهٍ دون هدى وضلالٍ دون رشاد؟

ماذا تعرفُ عن تصـدّعاتٍ للروح، ويرقانٍ للجسـد، وخفوتٍ بالوتد؟

ماذا تعرفُ عمَّ بداخله وهو الصامت الذي لا يشتكي؟

تحسبهُ في نعيمٍ مقيم، وهو الذي ما لبث يتعافى من وقعٍ مضى حتى يعاودَ الوقوعَ فيما هو أكبر ومصابٌ أجلُّ وأظهر.

ثم تأتيهِ أنت وتظنُ أنّهُ غفلَكَ ببعده وعزلته وأنّهُ قد هجركَ بسقمهِ وضيرِه.

ألم تدري بعد أنكَ ساكنهُ دون خلاص، عالقٌ فيه دون مناص، يذكّرُكَ في خلواتهِ ومناجاته، يضـمّكَ إلى دعائه كلَّ صـلاةٍ وقيام يسقيكَ وصلاً برجاء.

لم يأتِ يومًا إلا وطيفكَ يداعبُ مخيّلتهُ وبسـطوةٍ تجتاحُ أفكارًا قد أرهقته بنواح وتظنُ أنّهُ قد نسيكَ يا صاح.

فأنتَ لا تدري لكم يودّكَ هو، فلا يحملُ لكَ إلا حباً مبجلاً، فأنتَ له يا صاح أكبرُ من مقامِ صديق، ولستَ بحبيب أو من

يسـدُّ فراغًا تشـغله (أنت أخٌ .. أخٌ لم تلده له أم بل خُلقتَ من رحمِ الأيام؛ لتبددَ عنه كلَّ وحلٍ وظلام).

فـــــ بالذي ســواكُما، لطفاً قبلَ العتاب، ولتســأل فؤادك هذا السؤال: كم من مرةٍ قطع عليكَ فكرك، وشغلتَ قلبكَ به، أهو بخيرٍ وأمان؟

فهل حال طيفه بينهُ وبينك، أو حالَ مرةً بينكَ وبينَ واقعك!

كم وكم من مرة ومرة ذكرتهُ غيباً حباً أو دعاء؟

أيّاً كان الجواب فلن يغيّرَ من كونكَ بقلبه وما تزال، ستبقى ما بقي نفسٌ في الروحِ وقام.

سـيبقى الاتصـال حيثُ اتزان، فكن بخير يا صـاح فإنَّ القلبَ للقلبِ ميزان، وستشهدُ يومَ الحساب؛ فهوّن العتاب فالأمرُ باتُ مقسـومَ الجناب، واسـتمع لصـدى النبضِ وأرِح بعدما الذي راح.

إلى من كان له صـاح فضـيّعته الأيام، ابحث بقلبكَ عن بقيةٍ للوصـــال، وإلى الذين عبروا دون أن يُعيروا أحدّهم لمســـةَ اعتذار، احفظوا خلّانكُم بالحياة قبلَ مماتْ، والزموا عَذارٍ إلينا يا من نرتضي جِهال، ابدؤا بإفشاءِ حاجزٍ كانَ والسلام.

في كلِّ محنةٍ منحة

كانت بطلةً لا تشبهُ بطلاتِ قصصِ الواقع أو الخيال، كانت أُنثى بروحٍ محاربة لا تقبلُ الاستسلام، كانت نموذجًا للقوّة التي خلقها الله فينا وقد أهملها كثيرٌ منّا، كانت آيةً من صمود، درسًا نتعلمُ منه كيف يكونُ بعد السقوطِ نهوض، كانت وما زالت امرأةً قوية بقلبٍ حنون، حين أخبروها أنّها تعاني من ذلك المرض الذي أينما ذُكِرَ وجِلَ له القلب وهابتهُ النفس، وخرّ لذلكَ النبأِ ضعفُ الجسدِ والبدن(السرطان)، داءٌ سمعتُ عنه الكثير، سمعتُ معاناةَ من سكن أجسادهم وأتعبَ أرواحهمْ وأضنكَ من العيشِ نفوسهم، معاناةٌ تقتصرُ بأن يتمنّى المرء الموت؛ لعلّهُ يرتاح من ألمٍ لا يعرفُ أن يحددَ له مكان، رأت الكثير ممن سُلبت صحّتُهم وتلاشت مناعتهم وهزُلت حدّ الهونِ أجسادهم، وهي اليوم تقفُ مكانً أولئكَ الذينَ سمعتُ عن قصصهم التي منها ما انتهى بالنصر ومنها من غلبت فيه إرادةُ الله فانتصرَ الموت، وعلى خلافِ الكثير كان أول ما نطقت به: "الحمد لله" وكأنّ الله ألهمها أن تصبر وترضى، وكأنَّ بضعةَ حروفٍ قادرة على أن تداوي عجزَ الإنسان، وقلّةَ حيلته، سبحانهُ يبعثُ البلاء ويبعثُ معه الصبرَ والسِلوان، وكيفَ لا وهوَّ الحنون الرحيم الذي حتى بالبلاءِ ربٌ عظيمٌ كريم، كان ما نطقت به أعظمُ أجر وأكبرُ مواساة وأعظمُ ثقةٍ بعظيمٍ لن ينساها في كلّ حال ومهما كان ما كُتبَ في الأقدار.

بدأت العلاج، ما يسمونه (العلاج الكيماوي) بقلبٍ صبور وثقةٍ بالله لن تضيع، وإيمانٍ بأنه لن يصيبها إلا ما كتب الله لها، رغمَ بشاعةِ الألم الذي لا توصف، رغمَ الضعف والهوان بعد كل جلسة علاج، لا تصف الحروف مهما بلغت متانة صياغتها أن تتحدثَ عن ألمٍ يذيبُ الجسد من شدّته، يُتعبُ الروح من مرارته، ورغمَ فظاعةِ الألم ما كنتُ أراها إلا باسمة، وكأنَ من نورها يقتبسُ القمرُ نوره، ما رأيتها إلا باسمةً مستبشرة لا يملُّ لسانها بتكرارِ الحمد لله، وكأنَّ كلَّ كلماتِ اللغة تلاشت واندثرت، وما تبقّى إلا تلكَ الكلمتان وكأنّها بهما تواسي قلبها ونفسها.

كانت رغمَ ما يتركهُ الألم والتعب من علامات على وجهها جميلة، ثقتها بالله تزينها، يقينها وصبرها يدثرها، كانت مؤمنة قوية كلما سنحت لها الفرصة رسمت على وجهِ غيرها بسمّة، وكأنَّ الله زرعَ فيها كلّ صبرِ الدنيا،

فلم تكتفي به لنفسها بل وتغرسهُ في قلوبِ من حولها، ورغمَ أنّها كانت في مراحلَ متأخرة من المرض، كانت آيةً نتعلمُ منها الرضا والثقة والصبر واليقين والحياة، رغمَ كلِّ الألم كانت أكثرَ من يعلم أنَّ الحياة قد لا تُمهلها الكثير من الوقت، ومع هذا كانت تضحكُ على الدوام.

حين كانت تسمعُ بالموت كانت تضحك وتقول: "من يكرهُ لقاء الله!"

كانت رغمَ صغرِ سنينها تدهشني، تبهرني وتعطيني للحياةِ دروسًا أتعلّمُها وأسسًا أطبّقها، تركت لي بسمتها التي لا

تُمحى من ذاكرتي، تركت لي صبرها وإيمانها ويقينها، تركت لي درسًا لن أنساهُ ما بقيَّ بالعمرِ بقيّة: "يا بنيّتي هذه الحياة إن طالت أو قصرت رحلةٌ وستنتهي، ابتسمي حتى حين تسلبك الظروف الأسبابَ للابتسام، كوني دائماً واثقةً أنَّ الله لن يختارَ لكِ إلّا خيراً، لا تملّي الحمد والشكر مهما قاسيتي، تعلّمي أنَّ ثمارَ الصبر مذاقُها حُلو، ازرعي الأملَ في كل قلبٍ تقابلينه، اتركي في كلِّ شخص تصادفينهُ بذرةَ أمل وبسمةَ حياة، كوني الحياةَ لمن فقد الحياة، والأمل لمن اضنتهُ قلّتُه، كوني السعادةَ لقلوبٍ تاهت عن إيجادها، كوني بذرةَ خيرٍ أينما حلّت وأينما وطأتْ قدميكِ"

هي كانت وما زالت رغمَ الرحيلِ ملهمتي وقدوتي، وأولُ معلمةٍ لي، هي لم تُغلّب ولم تخسرِ المعركة، هي فازَت بإحدى الحسنيين فإمّا النصر وإمّا الشهادة، وهي نصيبها كان الشهادة، رحلت؛ لتلتقيْ بمن كانت تؤمنُ به حدَّ القبولِ بالموتِ برضا، وحدهُ الشوق الذي لا يوصفُ لقائه، رحلت باسمةً مستبشرة وكيف لا تبتسم! وهي ذاهبةٌ لتلتقي خالقها الذي لطالما كانت تنتظرُ بشوقٍ لقائهُ.

ودّعتها وهي الصابرةُ والواثقة والضاحكة والمؤمن، ودّعتها وهي بامتحانِ ربّها راضية وبلقائهِ راغبة، ودّعتُها كما استقبلتني هي يوماً بالدموع، وأنا ودّعتها اليومَ بالدموع ورغمَ ألمها رحلت مستبشرة بأنَّ لنا لقاءٌ آخر هناك عند ربٍ كريم، رحلت وقد غرست في داخلي لهُ حباً وعشقًا لا ينتهي.

كتبتُ لكم قصـــتها حتى تلهمك لا تؤلمك، حدثتكَ عنها؛ لتفرحَ وإن خالطت الدموعُ فرحتك، فنحنُ لا نبكي إلّا أولئكَ الذين تركوا فينا عظيمَ الأثر، كتبتها لك بحروف اصـــيغُ لكَ فيها حكايةَ معجزةٍ رغمَ الألمِ تضـــحك، ورغمَ التعبِ تزرعُ بذورَ الســـعادة، كتبتها لك لتتعلّمَ منها حِرفةَ الأمل؛ تتذكرها كلّما اشـــتدّت وطأةُ الحياةِ على قلبك، كتبتها لك لأنّها تســـتحقُ أن تُعرفَ وتُقرأ وتتعلّمَ منها، كتبتها لك لأنّها عاشـــت معجزة وماتت معجزة، كتبتها لك لأنّها تســـتحقُ أن تُعشـــق، ولأنها امرأةٌ غيرُ عادية.

كتبتها لك لأنهُ رغمَ الفراغِ الذي تركتهُ في قلبي، تركت لي بســـمتها وصـــبرها وجمالَ إيمانها وحلاوةَ يقينِها، كتبتها لك لعلّي أردُّ شـــيئًا من جميلها عليّ، كتبتها لك لأنّها جرحي الجميل، ووجعُ قلبي المبهج، كتبتها لك لتدعو لها، فأكونُ قد أهديتُها أكثرَ ما يمكنني إهدائُها إياه.

ASRUD
للنشر الالكتروني

لنترجمَ الوجعَ نغم

أنا الذي تتقاذفني الحياة، لستُ بمن يحيا رغدَ العيش كمن يحيا، ولستُ بمن مات فانقطعَ سبيله وانتهَى، أسيرُ على غيرِ هدى والطريقُ أمامي غيرُ معبّد، أتيهِ في أزقتهِ وكلُّ زقاقٍ يسلبُ لباً منّي، غيرَ أنّي ما عدتُ قادراً على المجابهةِ أمامها وحدي فيكفي!

فخلفتُ بالوعود، وحطمتُ قناعَ الجمود، وخلعتُ لباسَ التماسك، وآنَّ أن أُظهرَّ الخنوعْ فباتَ الفرارُ ملاذً طيباً حلواً مذاقه، ونعمَ السبيل للناجين.

فما بالكم منكمشين أو مستغربين، لا تُدهشكُم حالي هكذا، فلا تستعطفونْ، فما رأيتهُ ما احتملَ غيرَ هكذا مصير وبئسَ التأويل.

سقطت مني قوّتي عند كلّ زُقاقٍ استلّيته، فكان يستلهِمني ولستُ أدري، كنتُ أرى موتي الحتمي، لكنّي أنجو، أمضي اليوم وما عادَ داخلي جزعٌ يُرتجى منه شفاعةٌ أو سير توقفت حركاتي، سكنت، فتجمّدتُ مكاني تكبّلت أرجليْ وذراعيَّ بأصفادٍ من كبدي ولستُ أبالي فأآمنُ أنّ ذا مخرجي.

ضعفتٍ وهنتُ على قارعةِ الطريق قربَ مفترقِ الأزقة، حيثُ البداية كأنّها نهايةٌ تُرتجي.

أهنتُ على نفسي!

أهانَ عليّ سيري وكلُّ جراحي!

اقتربت النهاية، أنا الآن أرتمي بدلَ أن أرتجي!

أيُعقل أن أسقطَ وانبلج دون غد!

صوتٌ من عمقٍ داخلي يناديني بوهن، فهل سينفعُ النداء بعد أن غشينا صبابةً من العناء!

تُهت، أتوسّل ذاكَ الصوت الضعيف أن ينبلجَ فيُنقذني، توقفت، عليَّ أن أكبِحَ جماحَ تيهي فأصلَ لِمنقذي، لكن لا نورًا يِرتجى وسطَ حِلكةٍ دامسة، وهل يوماً يُرتجى زهرٌ في أيامِ الخريفِ القاحل!

لكنّي لا زلتُ أسمعُ أنينَ، وهمهماتٍ بعيدةٌ وقريبة نفسُ الآن، وددتُ لو أصرخ بكلِ ما أوتيتُ من جوامع الكلام، علَّ نوره ينبلجُ ويريحُ قلبًا أرهقتهُ غصةٌ بداخلي.

لكن كيف ل آآه أن تخرجَ غصةٌ من سمٍّ اجتاحَ سائرَ الجسد، وتركَ فيه وسمَ الهويّنة فأسقطت كلَّ الحصونِ إثرُها، معلنةً رايةً بيضاء (أن سيدي إنَّ الأمرَ لمُطاع..).

لتسطّرَ البداية لنهايةٍ محقوقةٍ مجهولة لتسطّرَ على الجبين، أنّهُ لا زالَ هناك حكايةٌ للحنين.

أبصِر الحياةَ بعينِ حكيم لا حليم

نولد لنحملَ ديناً حمله آباؤنا، ونعيشُ في بلدٍ كُتبت فيه حياتنا، ونقابلُ أشـــخاصً قُدّرَ لنا أن نقابلهم، منهم من يتركُ فينا الجروح، ومنهم من يجعلنا نأخذُ الدروس، ومنهم من يغدو شريانً يغذّي ما تبقّى فينا من أمل، معهم نفهم أنَّ البشرَ ليسوا ســواء، وأنّ منهم الطيب الذي يكون لقلوبنا دواء، يزيدُ حياتنا حباً وهناء، ومنهم القاســي الذي يعلّمكَ كيف أنّ الثقةَ في غيرِ أهلها تُنبأ بالهلاك.

فلا تبتئس لجرحٍ من ظننتهُ يوماً أخاك، ولا تبكي لألمٍ ســببهُ من كنتَ يوماً تظنّهُ مختلف عن كل ذاك، جفِف دمعكَ وتذكّر ليسَ الجميعُ أصدقاء، ولا الجميعُ يستحقُ ما في قلبكَ من نقاء وما تحملهُ من صــفات، ليسَ الجميعُ يحملونُ قلب يوســف، وليسَ الجميع لهم خُلقَ محمد، ولا الجميع يملكُ صــبرَ أيوبَ ويعقوب وأملهم، ولا الجميع يمتلكُ جمالَ موســى وعيســى وحُســنَ ظنّهم، ولا الجميعُ يعترفُ بذنبهِ كما فعلَ يونسَ في بطنِ الحوت، فهناكَ من يُتقنُ حِرفةَ غرسِ الألم في القلبِ دونَ ندمٍ أو توبة، ويتفنن في ســوءِ الخُلق حتّى تتبرأَ منهُ الأخلاقُ والقيم، هناك من لا يســعه إلا جعلكَ من اليأسِ والقنوطِ أقرب، وكأنه يعطيكَ صــفعةً تلوّ الأخرى، هناك من لا يعرف الصفحَ أو العفوَ والغفرانَ بأيّ سبيل، هناك من لا يملكُ جمالَ الروح التي بها تُغلبُ الظنون وليسَ الجميع مثل ما تظن يا صاحبَ القلبِ الحنون، تأكد بأنكَ ستقابلُ كلَّ ما في الحياةِ من أصــنافِ البشــر، حاول أن تتعلّمَ من البعض وأن

تتمســـــكً بـالبعض، وأن تعتني بـالبعضِ الآخر، وأن تًخرجَ البعضَ من حياتك ومن ذكرياتك، تعلّم أنّ ليسَ كلُّ الوجوه كما عليها تبدو، تعلّم أنكَ ما دمتَ حيًا ســتتعلّم، وما دمتَ حياً لا بدّ أن تتألم، تعلّم أنّ الحياة لا تعطي دروســها بالمجان وأنَّ الألم كأسٌ سـيتذوقهُ كلُّ إنسـان، قد يكون من قريب وقد يكون صـديق وقد يكون أكثرَ ما قد يصـلُ إليهِ إنسـان في قلبِ إنسـانٍ آخر، فلا تهمُّ المفردات ولا الألقـاب، المهم تلـكَ العِبَر التي تعطيكَ إياها مدرسةُ الحياة.

ASRUD
للنشر الالكتروني

يا قلب ويحكَ والعصيان

في المنفى قلبي قابعٌ هناك، حيثُ روحٌ تسكنُ أجساد، وأجسادٌ بلا وطن، هنّ سراب، أناجيه أن يعودَ أدراجهُ إليَّ، فلا وصل لهُ سواي، أناجيه كلَّ وقت وكلَّ حين أن يعود، أن يبقى بخير وأن يتلّمسَ دربَ الحي، فيحيا ليبقى دون أن يفنى لكن عجباً، الخلود صفةٌ للفناء في قانونِ الإنسان فلا خلودَ لإنسانٍ أيًّا كان.

وها هو هناك، بات الحاضرَ الغائب الذي لا يعرفُ للثباتِ مقام، أحسبكَ أيا قلبُ مجهولًا بين الطُرقات، عرّافاً بليالٍ سِوادٍ ضِحال، تتخطى مداراتِ الزمان فلعلّكَ تُفلحُ في إيجادِ نهايةٍ لمعاناةِ إنسانٍ احتلَّ الكيان.

يا قلب قد كان لي طِواع، هاكَ يدي على صدري أُنشدكَ بضعًا من الكلمات، ما يومٌ هانَ قلبٌ على جسدٍ كان قد آواه، وشقَّ في السبيلِ من الشقاقِ كي ينال، فلا تهُن عليَّ أو أهون، عُد لجسدٍ قد أوشكتَ أن تفارقهُ الروحُ بعدَ أن فارقهُ هواه، فتبِعَ قلبهُ دنياه فبرى وضاعَ دونَ أن يُصان.

يا قلبُ ما عادَ ينفعُ أن أُناطحَ السحابَ الطِوال ولا أن أُعانِدَ مرارةَ الأيام وأنتَ الذي تشغلني بفراغ بعد أن سحبتَ من داخلي شغفَ الحياة وكامل ذراتِ الحماس، قد شاخَ جسدٌ بعد أن رماهُ قلبهُ بجرفٍ من العصيان، واهٍ منكَ يا قلب.

قد باتَ الهلاكُ حتميٌّ يا جسداً كان، فعُد يا قلب وامسح ما كان، علّهُ يعد يانعًا أخضرَ اليراعِ، كما يُرام.

حكاية جيل التسعين

نحنُ جيلٌ ولدَ في أواخرِ القرنِ الماضـــي، في التســـعيناتِ تحديداً، يطلقونَ علينا جيلَ التسعين ولسنا استثناءً عن أجيالٍ سبقتنا، ولسنا استثناءً عن أجيالٍ ستأتي بعدنا، لكننا نملكُ ما يشهدُ على أنّنا قد نضجنا قبلَ وقتنا وأنّ ربيعَ عُمرنا صادفَ خريفَ أوطاننا، وأننا شـــهودُ عيان على الخيبة، على الألم والفقد، وعلى ضياعِ الأحلام، نحنُ لا ندّعي أننا مثاليين، لكننا بكلِّ تأكيد محاربين، نستيقظُ كلَّ يوم على أمل أن يضحك لنا ما تبقّى من شبابِ العُمر آميلين أن نستفيقَ يوماً على وطنٍ لا تملأهُ الفتن والتعصّب والحروب، ولا زلنا نستيقظُ على أمل أن نرى الأرضَ تتســـعُ لأحلامنا التي رغمَ اليأسِ والتعب ما زلنا بها متمســـكين، نســـتيقظُ على أمل أن يكونَ هناك شـــيئاً يحملُ لنا سعادةً تتوقُ لها قلوبنا وفرجاً تشتاقهُ نفوسنا وأحلامٍ تهفو لمجدها أرواحنا.

ربما هذه الحكاية، نحنُ من شـــهدَ شـــبابنا عجزاً ومن دارت عليهم ســـنونُ العمرِ دونَ وعيٍ وعلى غفلة نحن من رضـــينا بالقليل؛ لعلّنا نصـــلُ يوماً لحالٍ أفضـــل نبلغُ خلاله ما ضـــحّينا لأجله، نحن من ولدنا وكبرنا على أنّ الصـــبر مفتاحُ الفرج، صـــبرنا وصـــبرنا، حتّى أنّ الصـــبرَ قد ملّ منّا، نحنُ أبناءُ الأوطانِ التي دمرتها الحروبْ وكنّا على الدمارِ شـــهود، نحنُ أبناءُ مجتمعاتٍ يملأُها الفســـاد وتدمرها الشـــرور، نحنُ أبناءٌ ذاقوا المرارةَ وقســـوةَ الظروف ونحن أبناءُ المخيّمات وأطفالُ اللجوء، نحنُ أبناءُ مجتمعاتٍ تُجهضُ الحلمَ قبلَ الولادة، نحنُ

أبناءُ أمةٍ تشــهدُ أســوأَ محطاتها، نحن أبناءُ الوطنِ الذي تعمّهُ البِطالة ويملأهُ الفقر، ويقتاتُ على ما تبقّى من إنسانيتنا.

أكبرنا الآن في الثلاثينات، واصغرنا يتجاوزُ العشرين، كبيرُنا لا يختلفُ عن صــغيرِنا، فجميعنا أطفالٌ يشــتاقونُ طفولتهم، جميعنا شــبابٌ أُبيدت أجملُ ســنينِ عمرهم، جميعنا من أبناءِ جيلِ المســتقبل الذي كانت تُغني له ســبيســتون، جميعنا عاشَ عهد الأصــــدقاء وبقي على العهدِ حريص يبحثُ عن حلمٍ في حديقةٍ ســريّة دُفنَ مفتاحها منذ ســنين، وجدنا المفتاح ونحاول أن نصــلحَ ما دمرتهُ الســنينُ في حديقةٍ هجرها الطير، وذبلت من اليأس ورودها، ولكننا ما زلنا نحملُ في داخلنا أملًا كبير أن تطيرَ بنا أحلامنا كما طارت ســـاندي بل بحلمٍ روتهُ جهداً وتعباً وصبراً واشتياقً وحنين، ما زلنا جميعاً نحلمُ بوطنٍ فيه أبطــالٌ تدافعُ عن الحق حتى الرمقِ الأخير، مــا زلنــا جميعــاً نحفظُ صــــورةَ حنين التي ماتت لتُنقذَ من الموتِ طفلًا بريء، مــا زلنــا جميعــاً نحلمُ أن نحلق وأن نطير بخيرٍ يقوّي أجنحتنا وبحبٍ يسندُنا وقتَ الهوانِ وضعفَ قلوبنا الشديد.

جميعاً نحلمُ بغدٍ تزقزقُ فيه العصــــافير وتتراقصُ على طربِ الســعادةِ غصــونُ الوردِ وأغصــانُ الياســمين، نحنُ جميعًا جيلُ المســـــتقبل الذي ما زالَ لليوم ينتظرُ أن يعود، فنحنُ منذ أن أخبرونا بأنهم ســـيعودون بعد قليل ننتظر، وقد شـــقّ علينا الانتظار.

نحن جيلٌ لليومِ ما زال طفلاً صــغيراً يحتاج حضــناً دافئ وقلباً رحيم وحباً كبير، نحن لليوم أطفال بأجســـادٍ كبُرت قبل حين،

نحن وعلى خلافِ كونـان أعطونـا عقـارً جعلنـا نكبر على غفلة، دون أن نرى أو نشعرَ بمرورِ السنين، كونان يبحثُ عمَّ يعيدهُ شـابً قد نضـجَ من سـنين، ونحن ما زلنا نبحثٍ عمن يعطينا عقارً مضـادً فنعودُ إلى حيثُ وقفنا منذ سـنين، لحظةَ أن تركنا برنامجَ طفولتنا المفضّـل لنحضـى بقطعةِ حلوانا المفضلة ثم نعود.

نحن لسـنا اسـتثناء لكننا بكل تأكيد محاربين يسـتحقونَ أن تضـحكَ لهم الحياةُ من جديد، نحن لسـنا اختلاف ولكننا بكل تأكيد عن الأجيال مختلفين، نحن لسـنا الأفضـل لكننا نعطي بالصـبر والأمل على المحنِ دروساً وعبر، نحن نسـتحق أن نكونَ أبطالًا خلدهم الزمان فقد تحملنا الكثير.

أنتم أيضًـا مميزين ولكل جيلٍ ما يجعله مختلف وهذا ما لا ننكرهُ أو ننفيه، ولكن يحقُ لنا أن نفخرَ بأنفسـنا وأن نسـتثني ذواتنا، فنحنُ قد شـهدنا الكثير وطال بنا الخريف وغيومٌ تأبى الرحيل أو تبشرُ ببدايةِ عمرٍ جديد.

هذه هي حكايةُ جيل التسعين ..

شابت بنا الأيامُ قبل المشيب

ممَّ قيل في قلةِ الحيلة: "لا أفادني صمتي.. ولا أفادني الكلام"

فلا إن صمتت أفواهنا نجونا ولا إن نطقت ألسنتنا سُمعَ لنا صوت، تائهون بين جنباتِ الحياة، مرةً تجدُنا متمسكينْ بوهمِ الأمل كالقابضِ على الجمر، ومرةً تجدُنا عاجزين وكأنّ قلوبنا تجاوزت عُمرَ الحياة، وبين هذا وذاك نقطنْ بـ نفوسٍ أضنتها الحياة وقلوبٍ أنهكتها نكباتُ الأيام، وأجساد من فرطِ الوهن تتهاوى كما الرماد تذروهُ الرياح مع الأيام، ننظرُ خلفنا نجدُ العمر قد انسكبَ كـ الماء نحاول أن نعيشَ اللحظة ونعتبرَ الماضي قد ذهبَ ومضَى وأصبحَ فعلَ كان، فنجد أنفسنا على هامشِ الحياة، شبابٌ يفنى علَّ الحياة تضحكُ له يوماً، وأحلام تَنتزعُ النفسَ انتزاعً لكنّها ما زالت تقاوم برمقٍ أخيرٍ يتهاوى، نجدُ أنفسنا بأوطانٍ دمرتها الفتنةُ والحروب وداخلَ مجتمعاتٍ لا تجدُ ما يسدُّ رمقَ جوعها، شعوبٌ لا تملكُ من مقوّماتِ الحياةِ شيئًا، شبابٌ سُدّت في طريقهم كل الأبواب حتى استولى اليأسُ وتمكّن، فتمكّنت قلةُ الحيلةِ منهم، وأمّا المستقبل فلا شرارةَ تبشرُ بغدٍ أفضل، ولا شيءَ يوحي بأنَّ المستقبل سيكون مشرقًا يوماً، وبين دوامةِ الحياة وسرعةِ جريانِ الأيام نتوه، نبحثُ عن من يمسكُ أيدينا، ينتشلنا من واقعٍ باتَ كابوساً حياً، نبحثُ عن قلوبٍ ما زالت تحلُم بغدٍ أفضل، علَّنا نقتبسُ من شغفهم ما ينيرُ عتمةَ حياتنا ولو بشمعة.

وبين حياةٍ رسمناها بألوانٍ تنبضُ بالحياة وحياةٍ وجدنا أنفسنا فيها غرباء عن ذاتنا، عن أحلامنا، عن ليالي طويلة قضيناها نخطط ونبنيْ ونشيّد، نصبحُ مجبرين على التعايش.

فما ذنبنا إن صادفَ ربيعُ العمر خريفَ أوطاننا! وما ذنبنا إن نبتت بذرةُ أحلامنا في أرضٍ غير صالحة! وما ذنبُ الوردةِ التي حرصنا أن نغرسها قربَ نبعِ الماء إن جفّ النبعٍ عند أولِ غراسها!

كيف نقاومُ خيبةَ الوطن وقد خُيّبَ بالوطن أملنا؟ ومن ذا الذي يحملُ ذنب أحلامٍ أُجهضت قبل أن تولد؟ومن ذا الذي يملك أن يعيدَ العمرَ الذي انقضى؟ ومن يضمنُ في عمرٍ قادم أن تزهرَ بذوره وتنضجَ ثماره قبل أن تُقصفَ الأرض ويبادُ المحصول الذي قضينا في زرعه عمراً لا تقيمُ له الحياةُ وزناً؟

فإن لم يكن غير الأسنة مركباً فما حيلةُ المضطر إلا ركوبها!
لله المشتكى.

"فاللهم أياماً من السعادةِ تجبُّ ما قبلها .."

مـرَّ بنا قطار العمر، وأصبحنا بالفعل نكبر

مرّ بنا قطار العمر، وبتنا فعلاً نكبُر، نكبُر وتمضي بنا الأيام، نتغيّر حتى يصعب علينا في كثيرٍ من الأحيان أن نتعرّفَ على أنفسنا لنسأل متى كبُرنا إلى هذا الحد؟ ومتى باتت أشياءنا المفضلة دون قيمة؟ متى خسرنا شغفنا في الحياة؟ ومتى كبُرنا لدرجةٍ بتنا نخافُ فيها من الكلام؟

يا الله كيف تمضـــي الحياة بنا هكذا على عجل، وكيف تأخذنا بدروبها الطويلة، لدرجةٍ بتنا نبحثُ فيها عن ذاكَ الطفلَ داخلنا، نبحثُ عنه علّه يخففُ حِملَ هذه الحياةِ عنّا، علّه ينســـينا دروبًا طويلةً أنهكتنا وســـلبت لبّ قوتنا، علّه يُرجعُ براءةً تاهت منّا وضـــيعها زماننا، علّه يعيدُ لنا بســـمةً منبعها القلب، القلبُ فحســـب والتي منذ غابت دارت بنا الحياة وأصـــبحت مجرد واجهةٍ اجتماعية نغطي من خلالها غمامةً من السواد، سواد بات علامةً فارقةً تحت عيوننا، وشحوبٍ غطّى بألمٍ وجوهنا.

يا الله كم هو متعب أن نكبُر؟ أن نبحث في وجوه الأطفال عن ذاك الطفل الذي كنا هو يوماً، ويا الله عن ألمٍ يســـكنُ قلوبنا، يسلبُ كلّ رغبةٍ، وكلَّ شغف الأحلام والأماني منّا، حتى تلك الخيالات البســـيطة التي لطالما داعبت عقولنا بفرحٍ وبهجة، بطريقةٍ تداوي فيها جروحنا من الواقع، وهروبنا من خيباتِ الأمل التي لا تتوقف عن طرقِ أبوابنا بإصرارٍ عارم وتحدّي لقدرتنا على التحمُّل لتشكلَ تحدٍ واضحٍ وسافر.

كبُرنا لتلكَ الدرجةِ التي باتت تُخجلُنا الدموع في عيوننا، ويرهبنا الصـــمتُ حين تكون له الكلمةُ الأخيرة، كبُرنا لدرجةٍ تؤلمُ القلب ولدرجةِ أن نبحثَ بســـعيٍ وجهدٍ متواصـــل عن ترياقٍ يُحيي في قلوبنا ذاك الطفل الذي تبهجهُ قطعةُ الحلوّة، وتُرقِصُ حواســـهُ لعبة وتعيدُ بهجتهُ رحلّة أوْ كلمة أو حتى قُبلة.

اشـتقنا لنحضـنِ بليلةِ العيد لباسـنا الجديد وأن ننتظرَ بشـوق صـــباح ذاك اليوم التليد، اشـــتقنا لنطرقَ البابَ ليلاً لتفتحَ لنا أمهاتنا، فنُخبرها بذلكَ الوحش الذي يختبئ تحت السرير ندفنُ أنفسـنا في حضـنها وننامُ ملءَ الجفونِ راحةً، كيف لا ونحن في أدفءِ حضنٍ أوجده الله في هذا العالم، اشتقنا لصباحِ يومِ المدرسة الذي نواصل فيه الصراخ، وندّعي فيه المرض لكي لا نذهب ومع هذا نذهب اشـتقنا ليومِ العطلةِ الذي ننتظرهُ منذ بدايةِ الأسبوعِ أن يأتي، اشتقنا لأصدقاءِ الطفولة واللهوّ بحريّةٍ معهم في الشارع، اشتقنا لأن تتسخَ بالطينِ ثيابُنا بعد يومِ لعبٍ طويل اشـــتقنا لغزلِ البنات وأكلِ البوظة في الطريق اشـــتقنا لصباحِ يومِ الرحلةِ في المدرسة والتحضير لما نريد أن نأخذه من طعامٍ معنا، اشـتقنا لأولئك المدرسـين الذين طالما اشـتكوا شغبَنا المتواصل، حتى ذاك الشغب تحنُ له قلوبنا، اشتقنا لتلك القلوبِ الطاهرةْ، وتلك الأرواحِ الصـــغيرة التي ما كبُرت ولا تغيّرت ولا دارَ بها الزمنُ فتبدّلت.

من يعيدُ لنا عمراً قد مضـى، ومن يعيدُ لنا شقاءَ طفولةٍ اشـتقنا لها، ومن يسـتبدلُ النضـجَ بالطيش، فنعودَ طيوراً لا تبحثُ إلّا عمَّ يشبعُ جوعها ويبهجُ قلبها.

لا نريدُ أن نكبُر، فقد اكتشـــفنا أن الكبارَ قُســـاة وأنَّ النضـــجَ مؤلم، وأنّ الحياة هناك كانت أجمل منها هنا، وأن الســـعادةَ بالطيشِ أجمل وأبهى من الفخرِ بالنضـــج، وأنّ تعلّمَ الهجاء ونطقَ الحروف، وســـعادةُ تعلّمِ جدولِ الضـــربِ والجمعِ والطرح، وحفظُ قصيدةِ أمي وأبي أجملُ وأبهى وأكثرُ سعادةً

من شـــهادةٍ جامعية تعلّقُ؛ لتذكرَ صـــاحبها بمرارةِ الواقع وخـذلانِ الحيـاة وقســـوةِ الظروف ومرارةِ طعمِ الخيبـةِ في قلوبنا، لا نريدُ أن نكبُر فهل يوجد من يشتري النضجَ بالعفويّة ويستبدلُ الشبابَ بالطفولة، فأيُّ شبابٍ نعيشهُ وأحلامنا تُمنى بالإعدام قبل أن تُكشف، وطموحاتنا أقصاها صارَ أن نجدَ ما يقيتُ يومنا ويجنبنا السـؤال والحاجة لمن هم حولنا، وأوطاننا تُقتل وحقوقنا تُسلب وأبسطُ أمانينا باتت أن نعودَ آخرَ النهار لننامَ دون أن تقتلنا الأفكار، أو يحطمَ التفكيرُ آخر ما تبقّى بنا من كفاح.

ياآآآه كيفَ لتلكَ الأيامِ أن تزورنا.. وآه كم بتنا نكبُر ونكبُر دون أن نحيا، فتتسـربُ الحياةُ من بين أيدينا كما يتسـربُ الماءُ من كأسٍ بات يحملُ شقاً، فلا نحن نكبُر ونفرح، ولا نحنُ نستطيعُ أن نعودَ للطفولةِ فننســى، فقد مرّ بنا قطارُ العمرِ وبتنا بالفعلِ نكبُر.

ASRUD
للنشر الالكتروني

صـــوت الـــراحـــلـين

هـل سـمـعـتـم يومًا صوتَ الراحلين؟

هل يعودُ من مرّ من هنا طيفه قبل سنين؟

هل تحنُّ إلينا الذكرى، فتلقي ما في جُعبتها علينا كي نستكين؟ وهل صدقتَ تلكَ العهود التي كانت قبلَ الرحيل؟

ومن ذا يجيبُ وقد أضحى اليومَ شهيد، وها هي الأيامُ مسرعةٌ تمضـــي، والحياة تســـيرُ كما يســـيرُ العابرينَ على عجل، والســـاعاتُ على إثرها تُســـابقُ خطَّ الزمان، فتفوزُ بعدوان ورغم الســـرعةِ والزاد إلّا أنّ قلبي ما زالَ عالقاً هناك، حيث لحظةٌ مخلّدة للممات.

صـــوتُ رنينِ الهاتف وما يحملُ معه من أســـمار، ولعنةٍ للعشـاق، وفراقٍ للأحبابْ، وضـيقٍ بعد فناء، كيف لا وللموتِ رهبةٌ تخرُّ لها الأسماع، فتقشعرُّ على إثرها القلوبُ والأبدان.

فكم هو مؤلمٌ يا فقيدي، والفقدُ موجع، يخرُّ القلب من بعده، فلا تقوى على مجـابهـةٍ أو حيـاة، فمن ذا يكفكفُ دمعَ الأمهـات، ويرحم شوقاً ملأ قلوبَ الأحباب!

فأماهُ كفى، لا تذرفي دمعكِ قد نُحتَ فوقَ الجبينِ أنهُ لا البكاءُ أو العويل يعيدُ لنا من غيّبتهُ الســـنين، قد كُتبَ على حائطِ الخليل أنه أضـــحى شـــهيد، فأطلقِ الزغاريد؛ فاليوم يومُ عيد، وافرحي أن قد نلتُ وسمَ شهيد.

في الحياةِ أماه لا يدومُ إلا ســـواه، وكلنا إلى فناء، أماهُ كما كانت

بدايةُ اللقاءِ جميلة لنجعلَ النهايةَ للبدايةِ شبيهة، فحرامٌ علينا أن نشــوهَ نهايةَ ما كان بدايتهُ حبٌ جميل، أخضــرٌ يانعُ الســبيل، ولنحافظ حتى النهاية علّهُ يكون لنا وصـــلٌ بالوتين، ولِنرجوا الله أن يجمعنا بعد حين على ســـررٍ متكئين، ويكتُبنا الله من أصحابِ جنةِ النعيم، فاللقاءُ موعدنا يومَ الوقفِ العظيم.

يكفينا أن بات عمقنا مرتع وجعِ ســنين، يكفي فقد أرهقنا كثرةُ التشييعِ والموت وإن كانت له قسوتهُ فهو علينا حقٌّ اليقين.

والحياةُ أيّا أماهُ تأبى إلّا أن تعيدَ بنا الذاكرة إلى ما رميناهُ من سنين، ترمينا بناقوسٍ يبقى يدقُّ ثنايا عقولنا فلا تفريط.

فل نواسـي أنفسـنا؛ لنرفعَ الأكفَّ للعظيمْ ندعوهُ أن يكونَ اللقاءُ في جنةِ الفردوسِ آمنين، وطوبى لنا بأيامِ الزمنِ العتيق، كيف كانت الحياة ترنو الجبين، تمنحُ البائسـين تُكسـبُ المناضـلين، تتســـعُ للطيبين، كان زمانهم أماهُ جميل، لم يشـــوبهُ ألوان أو يشـــوبهُ أيٌّ من التنميق، وليرحمِ الله من اشـــتاقت لهم القلوب وحوتهُم القبور.

(فاللهم أروِ القلب صـــبراً ويقين وجمّل لقائنا بمن نحب يومَ نلقاك يا كريم).

جرمٌ مشهود

أعجبُ مما وصـــلَ إليه حالنا، وأيُّ حروفٍ تملكُ أن توثقَ بشـاعةَ موقفٍ كان وشـرارةَ ثورةِ البركان! فمن ذا الذي قال: "الكنانةُ للقلوبِ راحة، ومن الهمومِ استراحة!"

فكيف يستريحُ من ينثرُ الملح فوق الجرح يوثقُ وجعه بعمقه، ويلتهمُ بركانه ثورته، لا أنَّ ثورتهُ تُفحمُ بركان، فيبقى عليه علّهُ يكون إرثًا له أمدا، فيعاودُ الكرّةَ إليه، يتلمسُ ندوبهُ عليه، ومع كلِّ ثورةٍ يعاودُ النزفَ بعد أن اندملَ الجرح، فبئسَ وآهٍ لجرحٍ يفتحُ علينا من الجراحِ ما لا حصـــرَ لهُ، نتاجَ أحداثٍ قاتمةٍ سوداء مضمحلة وعنجهية أبديّة غير نديّة فأرانا ها هنا، أرى بؤســـنا ولا عقلانيّتنا، أرى ســـوادً في عالمنا، واقتلاعَ جذوتنا، أرى حُلكةً فيها أُغشـــيت بصـــيرتنا ولوثَت فطرتُنا، وأهانت إنســـايتنا، وهدرت كرامتنا، وأضـــاعت كلَّ القيمِ والمبادئ والرحمةِ والرأفةِ التي تعهّدنا أن نحملها.

ففي بلادِ المغرب العربي ينكلُ الأطفال تستباحُ أجسادٌ لتوّها بدأت تســتكشــفُ الحياة تُحرقُ الجثث، وتبكي الأمهات بدلَ الدمعِ قهر ومن يرحمُ فؤاد أم؟ كســـروا الفؤاد واســـتباحوا حرمات، ولا يختلفُ الشرق من بشاعةِ التنكيلِ والإجرامِ عن المغربِ العربيِّ شـــيئ تموتُ فتاةٌ تدافعُ عن نفســـها، تُدهسُ شـــابةٌ ذنبها أنها وجدت في زمنٍ تعمّهُ الفتن وتحكمهُ اللا إنسانية، وفي مكانٍ آخر يصرخُ طفلٌ لمْ يبلغْ السادسةَ عشر من عمره، قُطعت يداهُ دونَ رحمةٍ، وفقئت عيناهُ دونَ أيِّ شـــعورٍ بالرأفة، بعثتت يداهُ لأمّهِ بدلاً من خبزٍ أرســـلتهُ

ليحضـــره، فيّا ليتها لم ترســـلهُ من عندها، فما أطيبَ الموتَ جوعًا على أن تُفجعَ أمٌ بمهجةِ قلبها.

عقلي يتســـاءل، تملأهُ الحيرة، ويســـكنهُ البؤس ويملأهُ الألم، وتدميهِ الفجعة، وتذهلهُ بشـاعةُ الحال الذي إليه وصـلنا، تدنّت الأخلاق حتى عدنا بالزمنِ لما يسبقُ الجاهليةَ بعصور وكأنها غريبةٌ لا نألفُ وجودها، تدنّت الإنسـانية حتى باتت شـعاراتٍ لا تُغني ولا تسـمنُ من جوع فهل يسـتحق منّا غداً الانتظار، التمعن والترقب والأمل بعد كلِّ الذي كان؟

تباً لمثلِ هكذا حياة، تجلبُ البؤسَ لما تحملهُ من بأسٍ طـاغ، وكـأننـا المدينونَ لكلِ جُرمٍ في هذا العالم، فمن ذا للإعتذار! وماذا يفعلُ عذرٌ جاءَ بقبيحِ الأسـباب! ماذا يفعلُ الإعتذار لمن سـلبهم العنفُ والإجرامُ أبسـطَ حقوقهم، وهو حقُ العيشِ في الحياة!

فماذا بعد! وأيُّ شيءٍ يحملهُ لنا الغد؟

لا شـيء، سـوى أننا الوحيدون المدانون والتهمةُ موقعةٌ أدناه: (أننـا رضـــينـا فلم نعترض أو نرفض ظلمًـا وقعَ علينـا، أننـا رشـشـنـا الملحَ على الجرح، وألزمنا المجروحَ الصـمت، أننا اخترنا الشـكوى والتذمر سـراً، أمّا علناً كان الصـمتُ عنوانَ قضيتنا).

بربّكُم أما شـــبعتم عتواً وإفســـادًا! قد عيينا وربي إملاقاً، متى ينتهي كمُ بؤســـكم وفســـقُ فجوركُم؟ متى ندان وتدان أفواهنا معنا؟

أولم يكن أجدرُ بنا لو بقينا بعالمِ طفولتنا غارقينَ فيه حدّ الرحيل، وربما كنّا في ملاذِ الآمنين.

ASRUD
للنشر الالكتروني

صرخة لاجئ

استُنزِفنا حتى بات الألم يُسكِر من شدّتهِ الطفلَ والشيخَ والمرأةَ والعجوز، تجرّعَ الكبيرُ والصغيرُ منّا الظلمَ حدَّ الثمالة، حتى جفّت يا الله منّا الدموع، والشجرُ ملّ الوقوف، تيبّست سيقانه وذبلت أوراقه، باتت أيامه خريف لا ينقضي، أمّا جداولُ الماء فقد طغى عليها اللونُ الأحمرُ القاني ففقدت زرقةَ لونٍ خُلق ليكونَ جمالاً لها، شبابنا في المقابر قد سكنوا وشيوخنا دموعهم تركت موطنها، يرفعونَ أيديهم لله يرجونَ رحمتهُ وهو بعباده الرحيم كلُّ شيءٍ قد تغيّرت، تبدّلت الملامح، الوجوه يكسوها الحزن ويغزوها الألم ومرارةَ الإنتظار، تغيّرَ كلُّ شيء وباتت الأوطانُ لأهلها مقابر لا يتذكرُ الأحياءُ فيها أين دُفنَ من يحبون، فلا تتذكرُ الأمُ الثكلى أين دُفنَ وحيدها، والأب لا يعلم أيَّ مكانٍ بات يضمُّ جسداً هو قطعةٌ من قلبه، تنهشُ الحربُ أرواحنا، تُميتُ بوادرُ الأملِ في أيامنا، قلوبنا من فرطِ التعبِ تتهاوى، تعبنا حتى بتنا أمواتً ننتظرُ يوم الجنازةِ أن يُقام، علّنا نجدُ قبراً يضمُّ جسداً أهلكتهُ الفتن، دمرتهُ الحرب شوّه ملامحهُ السيل، ملامونَ نحن، فما كوارثنا إلا ظُلمُ أيدينا ونتاجُ طمعٍ في الدنيا ملأ قلوبنا، تلومنا الأمُ والابنُ والنفسُ والشجرُ والأرض، ولو أنَّ للحجرِ صوتٌ لصرخَ ينهرُنا: ألا يكفي، أما شبعتُم، أما ارتويتُم؟

قد وليّنا أمورنا من لم يرحمنا، فباتت أوطاننا محرقةً تحرقنا، تلومنا أرواحنا المنهكة؛ لأننا للظلمِ قد استكنّا وما نطقنا، تلومنا فطرتنا وكلُّ الحقِ لها في لومنا حين رضينا الذلَ

نتجرعهُ كأساً، ملامونَ فنحنُ الذينَ أشعلنا نارَ الحرب، نحنُ الذينَ سمحنا للفتنةِ أن تفرقَ بيننا، فنسينا أنّ التعايشَ وتقبلَ الآخر رحمة لا نقمة، تلومنا لعلّنا نفهمُ ونعي أن عنصريتنا ذرفت دمائنا، وأنَّ الشرَ ومنبعهُ هو الإنسان الذي لا يشبع ولا يقنع، الإنسان الذي باتت الحرب ما عليه يقتاتُ ويتغذى.

مدينون باعتذار، ألف إعتذار لأطفالنا الذين يموتونَ جوعاً، يموتونَ ألماً وذل، أطفالنا التي سُرقت بكلِّ عنجهيةٍ طفولتهم، مدينونَ لأمهاتنا اللواتي لا تجفُّ دموعهم شوقاً وحزن وشيوخنا الذين كُتبَ لهم أن يتذوقوا المرَّ بدلَ الراحة فيما تبقّى من العُمر، مدينونَ بإعتذارٍ للأرضِ والشجر والطير الذي في السماء يرتفع، مدينونَ بالاعتذار لكلِ شيء وعن كلِّ شيء، ولكن إن كنّا جميعنا مظلومون فمن يا ترى حاملُ السيفِ فوقَ أعناقنا؟

تعبنا فمن يرحمنا إن لم نرحم نحنُ أنفسنا؟ مللنا الخيام وأتعبَنا اللجوء، نشتاقُ الحب والبيت والأهل والبسمة، نشتاقُ الأمن الذي سُلبنا إياهُ على حينِ غرّة، نحتاجُ الحب الذي له اشتقنا، مللنا لقبَ لاجئ فمتى نعودُ أصحابَ أرض؟

ولكن "لا يشتري القدس من باع العراق، ولا يبكي لصنعاء من لم تُبكِهِ حلب"

وقطعاً لن تُبكيهم صرخاتُ الضحايا في الهند، ولا المساجدُ التي تحرق.

فاللهم فرج..

من الجانيْ؟ من الـدانيْ؟

حسرةٌ وندبة وقلبٍ به طاغيةٌ مستعصية.

أمٌ وطفل ويَّمْ، الطفلُ فقيد، والأم لا سـبيلَ لها للنشـيد، واليمُّ غـادرَ عنيد، أمٌ رمت بوليدها اليمَ، واليمُّ التهمَ دون أن يدَعْ ويسألَ من الملوم، طفلٌ وأم، أم يمٌ يجري دون أن يدري؟

فكيف لروحٍ أن تسلبَ روحًا الله وادعها؟

وكيف لليمِّ أن يخطفَ روحًا تملأها البراءة؟

كيف بأن ينزح قلب عن قلب وكيف أن تفارق الروحُ الجسد؟

أمٌ تمضـي ويمٌّ يجري، أمٌ تلقي ويمٌّ يبتلع فلا هوادة، والأصـل قد تخلّى عن الفرع.

أأذنبَ اليم أن لم يلفظه، أم ويح قلبها أن لم تحنو عليه؟

كُشـف السـتار فبات المدانُ بريء، وبقيت هي المتهمُ الوحيد بالدائرة، فصارَ حرامٌ أن نلقيَّ اللوم، وقد استبقَ الحُكم، والزِقَ من اتهمَ بالجرم.

لم يخلُّ لـه يومـاً أن تلقيهِ في اليمِّ وتمضـي أظنت أنها كأمِ موسـى وأُنزلَ إليها وحيٌ أن ألقيهِ في اليمِّ إنّا رادوهُ إليكِ، أم ماذا؟

فهل عادَ الوليدُ بعد أن قطعت السـبيل وألقيت دون تمهيدٍ أو نحيب؟ هل نجى؟ هل لُفِظ فزال بـهِ رمقُ الحياة أم أنـكِ لم تُحكمي التابوتَ إغلاقًا؟ وهل كان هناك تابوتٌ يا ترى؟

فيا أماهُ كيف لكفوفِ راحتيكِ أن تكون مجاديفَ موتي بدلَ حياتي ونعيمي في كنفكِ؟

أماهُ كيف لقلبكِ أن يحملَ النفور إليه وأنا النطفةُ منكِ وإليكِ؟

أماهُ أهانَ عليكِ خلاصكِ مني؟

فما هو جرمي، إن كنتُ لا زلتُ طفلاً وليداً لم يبرحْ المهد!

ASRUD
للنشر الالكتروني

ملحمة أهلكت القلب وطأطأ لها الجبين

متى يحين اللقاء، ومتى نرتاحُ من حربٍ سـلبت منّا الحياة؟ وهل للضميرِ العربي يومًا حياة؟ فهل تُرانا نلتقي؟

فلا يشـعر بالمظلوم إلا من ظُلم، ولا يشـعر بالفقير إلا من ذاقَ الفقر، ولا يشـعر بالوجع إلا من ذاقهُ أطنانً، ولا يعرفُ معنى الحرب إلا من سـرقت الحربُ منهم حياتهم وأعمارهم ومع أنّ هذا هو المنطق إلّا أنّ هناك شـيءٌ ناقص لم يُذكر بعد، فلو كان هذا هو الأساس كي نشعرَ بمعاناةِ غيرنا، كيف لصـفحاتٍ من رواية أن تحرقَ قلبك! أن تُبكي عيونك! أن تتركَ موجوع وكأنكَ عشتَ معهم وبينهم وكأنكَ واحدٌ منهم! كيف للكلمات أن تهدمَ رصـانةَ قلبك؟ وتفتتَ ملامحَ الهدوءِ الذي ما يلبثُ أن يفارقَ وجهك؟ كيف لمحضِ قصـص أنْ تذيقكَ لوعةَ الوجع والخذلان؟

وبالرغمِ من أنَّ جُلّ هذا الكلام ليس مثل الذي يرى بأمِّ عينيه، لكنّهُ تمكّنَ منكَ حدَّ الأرقِ والإرهاق.

كاتبٌ يذكر: "كتبت هذه الرواية لكي أوجع قلوبكم، لا تعجبوا من صـراحتي بالفعل لأوجعَ قلوبكم، حتى تختلطَ دموعكم مع كلماتي فتكونُ شفيعاً لنا أمام الله..."

ولكن هل تمسحُ الدموعُ الدماء؟ هل يغفرُ وجعُ القلبِ الخذلان؟ هل تشفعُ لنا مشاعرنا عن صمتٍ أبادَ عائلاتٍ بأكملها وكان قد سلب الأحلام والحب والحياة؟ سرق الحياةَ ممن لم يكُن لهم ذنب إلا أنهم ولدوا في زمنٍ بيعت فيه الإنسـانية بأبخسِ

الأثمان؟ وهل يغفرُ الندم ويجُّبُ ما قبلهُ من خيانةٍ وصـــمتٍ وذل أضاعَ الشبابَ، وسلبَ الطفولة، واغتصبَ الأحلام؟ هل تغفر لنا راما التي أسكتَ شغبها صاروخٌ غادر؟ هل يسامحنا رامي الذي فُصلت يدهُ عن جسدهِ، ممسكًا بحقيبة مدرسته، يحلمُ أن يكونَ عالمًا أو قائدًا لا يقتل شـــعبه؟ هل تفكُ جديلةُ روَى حبلَ الخذلانِ عن رقابنا؟ وهل يسامحنا أطفالُ المدرسةِ التي تركَ صـمتنا فيهم جرحاً فاق جرح صـــاروخٍ أطلقه من ظنَّ أنَّ لا حســـاب ولا عقاب؟ مع أن الكاتب أوجعَ بكلماته قلبي وســلبَ من عيوني هدوئها ما زال الشــكُ يملأ قلبي هل ســـيغفر لنا الله حقاً "عندما يأتي طفلٌ مبتور اليد، أو تظهر امرأة مكســـورةُ القلب، أو يطلعُ علينا رجلٌ مهدورُ الكرامة، يرفعونَ أيديهم إلى السماء يشكوننَا على خذلاننا لهم؟"

ويا ويلنا يومَ نلقاهم بحضـــرةِ قاضٍ لا يُظلمُ عنده أحد، ويحَ قلوبنا كيف صـمتنا ويا لعارِنا كيف قبلنا وعشـنا، يالا قسـوةِ ضمائرهم، ويالا زيفِ ما يدعون، ويا لبؤسِ كلِّ القوانين وكل الحقوق، ويا لوضاعةِ كلِّ من شاركَ في مجزرةٍ سلبت آمنينَ أمنهم وأبكت مجروحين خذلان من توسمُ منهم نصراً.

يا تُرى بعد أن تنتهي الحرب في سوريا وفي اليمن وعلى هذه الأرض التي باتت للجراح وطن وللألم مســـكن، كيف نعودُ نحن؟

يقولون العبرة في النهاية ولكن ما النهاية التي سـنصـل إليها؟ كيف ســـنزيلُ الألم من جدران الذاكرة، كيف نعيدُ لعيونٍ

انطفأت بريقًا يبشـــرُ بغدٍ أفضـــل؟ كيف نرمم أرواحنا؟ كيف نجمع شتاتنا؟ وكيف نعزّي قلوبنا؟

ســـنبني البيت والأرض، ونعمّر من جديد ولكن من يعيدُ للبيوتِ أهلها؟ سنفتحُ المدارس بعد أن نجعلها أجمل ولكن من يعيدُ للمدرســـةِ روّادها؟ كيف يجلسُ أحمد دون أن يأتي علي ويجلس بجانبه؟ كيف تبدأ الاستراحة وتشتاقُ نسرين إلى لبنى وميساء وهدى؟ سنشيدُ الملاعب ولكن كيف يلعبُ من سلبت الدبابات والصواريخ أجسادهم؟ سنبني ونشيد فلا أيسرَ من رصِّ الحجارة ولكن من يرصُّ جدرانَ ذاكرتنا من جديد؟ من يرمّمُ ســـقفَ القلبِ الذي تهاوى من فرطِ الألمِ والأنين؟ من يملكُ أن يعيد لذلك الرجل زوجته وأولاده الثلاث الذي غلفهم الثلج حين كانوا يحاولون الحياة؟ من يُرجع إيلان ذلك الطفل الذي التهمهُ البحر، وطفت كرته لتُذكرَنا كم أنّنا جبناء؟ من يعيدُ لأمِّ سراج سراجها الذي حرمتهُ الحرب من الحياة وسلبهُ البحر جسداً فارقتهُ الروح؟

من يعيدُ ســـراج الذي كان يرتدي ملابس الطبيب وحولتهُ الحرب ليرتدي ثوبَ الهمِّ والتعتير؟ من يخبر تلكَ العروس الذي آثر عريســـها أن يعطيها ســـترةَ الإنقاذ بعد أن أعطوها ستـرةً مثقوبة، وهل سـترةٌ بعشـرةِ دولارات باهظةُ الثمن، أم أنَّ الإنسانية هي من باتت ثمنها بخس؟ من ينسى أولئك الذين ما زالوا ينتظرونَ الرســـائلَ ممن يحبون؟ ومن يعيد لعبدِ الله أمهُ وأبيه وأختهُ وقدمهُ التي تخلّت عنه بعد أن تخلّى الجميع عنه وعن كل من في وطنه؟ من يعيدُ الرفاق لطلابٍ أخذ

صـــاروخٌ غادر رفاقهم وتركهم يغرقون في ذكرياتٍ أكبر منّا ومنهم؟ ومن يجيبُ تلك الطفلة التي ســـألت: "أنا شـــو عملت إلهم ليأخذوا أختي، هلأ مع مين بدي العب؟"

ومن يعيدُ لذلك الطبيب والمســـعف زوجته وأطفاله وهو الذي ينقـذُ الكثيرين، ويقفُ عـاجزًا على أن ينقـذ أمـه وزوجتـه وأطفاله؟

حتى أولئك الذي قتلوا واعتدوا واغتصبوا وأنهكوا، أرواحاً لا يسـمعُ أنينها إلا الله كيف سـيعيشـونَ مع ذنبهم؟ هم سـيكونون موتى وســتقتلهم ذكرياتهم البشــعة، ســتدمر حياتهم أرواحهم التي لوثت، ستبيدُ وجودهم تلك الأرواح التي استباحوا حقوقها وتعدّوا على حرماتها، تقهرهم ضـمائرهم وتُحاسـبهم قلوبُهم، وســيكونُ الندم ماثلاً بأبشــعِ صــوره ذلكَ الندم وقتَ لا ينفعُ الندم، قاتل يسـلبُ العين من محجرها، هم مجرمونَ ضـحايا، ظنوا أنهم يدافعون عن وطنهم وهناء حياتهم وسعادة أطفالهم، لكن لم يفهموا أنهـا حيـاة تجريْ وفقَ إرادةِ الله، وأنّ من سلبوهمْ أمنهم سوف يسلبونَ بإرادةِ الله حياتهم، فلا أقسى من أن يقتلك قلبك، وتحاســبكَ إنســانيتك التي ألجمتهَ بالصــمت فتجردتَ منها بعد أن تركتكَ وحيداً تقاســي الخيبةْ ووجعَ الضـمير الذي لن تجدَّ له دواء ولا يملكُ له كلُّ أطباءِ الدنيا لهُ علاج.

ما أقسى الحياة حين تُكشّرُ عن أنيابها.

سـنخبرُ الله بكل شـيء ولن يضـيّعَ الله حقنا فهو العدل الذي لا يُظلمُ عندهُ أحد.

فلتغفري ضعفنا عائشة

عائشــة طفلةٌ بعينينِ تشــبه القدسَ بجمالها، ووجهٌ ملامحه من الجنةِ خُلقت، عائشـــة طفلة حين تنظر إليها ترى القدس وقد حُررت، ترى الأبوابَ للمصــلين قد فُتِحت، ترى العصــافير تغنّي للنصــر والحُلم طرباً، ذنبُ عائشــة أنها وجدت في زمنِ الذل، في زمنٍ نســـاومُ فيه على أرواحِ أطفالنا وعلى طفولةِ أبنائنا، في زمنٍ نصـــفقُ فيه للعدوّ وننحني احترامًا له، في زمنٍ تأتينا الأوامر فيه ممن لا يملكونَ الشـــجاعة ليواجهوا حجراً تحمله أيادي الصـــغار وهم الذينَ تحملُ أيديهم أعتّى السلاح، ألا شُلّت أيديهم بقدرتكَ يا الله.

عائشــة ولدت في زمن ما عادَ فيه عُمر ولا صــلاح، عائشــة طفلة لم تكمل عامها الخامس شـــلّها ذلنا قبل أن يشـــلّ قواها المرض، عائشــة إبنة عزّتنا المتبقية إبنة آخر حصــوننا ضــدَ الظلم والمهانة عائشة التي ماتت من شدّة الوحدة، لا من قسوة الورم الذي احتلَ خلايا دماغها، ماتت لأننا جبناء لا نملكُ أن نزودَ آخر خطوطِ كرامتنا بــالدواءْ والمســـتلزماتِ الطبيــةِ للعلاج، ماتت لأننا لا نملكُ أن نفتحَ المعابر ولا أن نكســـرَ الحــدودَ والحواجز لتتلقى العلاج بوجود والــدتهــا التي أكلــت المرارةُ قلبها حزناً ووالدها الذي كسرَ ظهرهُ عجزنا، وإخوتها الذين شــهدوا موت جنتهم لدناءة حالنا الذي بات يُعيب ويؤلم، عائشــة التي لم تكن تريد إلا حضــنَ أمها، دفــءَ جدتها، لمســةَ والدها، أصــواتَ إخوتها حولها، عائشــة الســرطان من قتلها بريئ هي ماتت لأننا ما اســتطعنا أن نعطي طفلة حقَ العلاج

والحب والسند ممن هم لها قلبٌ وروحٌ وونيس، عائشة التي رفض الإحتلال بسلطةٍ نحن من منحهُ إياها أن يسمح لوالدتها أن ترافقها في رحلةٍ تحاربُ فيها ورمًا إختارَ دماغها ليعيشَ فيه وحين تمسكَ قلب أمها على أمل أن تعودَ عائشة لها قبلت لها الرحيل، لتعودَ إليها قطعةٌ من قلبها من جديد، عائشة عادت ولكنّها عادت لتموتَ بأرضِ الوطن، بأرضِ العزةِ والكرامة، فالموت بالغربة موجع والبرد هناك قاتل وحتى التراب في غير أرضِ الوطن لا يملكُ أن يدفءَ جسدها الصغير عائشة التي ما قتلها الورم قتلتها أمة المليار ونصف المليار حين عجزت عن أن توفرَ لها سيارة إسعاف تعيدها لحضنِ أمها وأبيها وإخوتها فماتت، وموتها جريمة سيسألنا الله عنها ويا ويلنا يوم مشهدٍ عظيم، يومَ نقفُ أمامَ الله ليسألنا فكيف لنا أن نُجيب؟ وكيف لنا أن نداري عارنا وذنبنا المخزي؟ كيف سنقفُ أمامَ الله وقتها؟ وماذا سنقول؟

أمة المليار ونصف المليار لم تستطع أن تحمي عائشة ولا أن توفرَ لها علاجاً بجانب أمها، أم أنَّ أمة المليار ونصفِ المليار كانت مشغولة في المؤتمرات وصفقاتِ الذل ودفعِ الأموال للمحتلين لشراءِ رضاهم، أم أنَّ هذه الأمة في سبات عميق ولن يوقظها ألف عائشة ولا حتى مليون.

"ليس أسوأ من سقوط الأقنعة، إلا بشاعة ودمامة وجهْ لطالما رأيناهُ جميلاً"

"النسيان لا يعني أن لا نتذكر، بل نتذكر ولا نتألم"

أمّا نحن نتذكر ونتألم، ولا يجد النســيان لعقولنا ســبيل، فاللهمَّ رحمةً تنتشلنا من كلِّ هذا الألم.

فلتغفري عائشة.

ASRUD
للنشر الالكتروني

ولكَ في الحياةِ شعاب

لســـتَ وحدك من تعاني، فالجميعُ لديهم ما يؤرقهم وينغصُ عليهم عيشــهم، لكن الفرق بين أنت وأحد هؤلاء أن أحدهم قد قامَ استقام، نفضَ عنه غبار الأرق والضيق، فنهضَ وقامَ ليقيمَ طريقهُ فيستقيم وكنتَ أنت ممن وقفَ محلهُ دونَ حِراك، دون صـولٍ أو جول، فرضـيَّ بالعجزِ واليأس أن ينهش من روحه قبل عمره وجســـده، فذهب غيثـهُ مع من ارتحل دون أن يرتجل.

فعي يا صاح ليس أمامك من فرصتين، لا تبكِ على الطرقات على ما فات، فكلُّ الذي فاتَ قد مات وكان لك خيرٌ فيما بقيّ اســـتقام، فجلّـهُ عوض عش بكامل ما تملك من حب وأمل فلربما كانت حياتك أسـوأ مما أنت عليه الآن وما آلت إليه فيا صـاح مهما بلغكَ من السـوء ففيهِ من الخيرِ لك ما فيه، وليس الله بظلامٍ للعباد.

فلا شـيء يستحق كل هذا العناء الذي تتَكبدهُ لقلبك الضوضاء، فاستمع لنصحي وكن مع من قام انفض الغبار واستلهم كشفَ الغطاء، فرفعُ ما كان يحجبُ عن عينيهِ الســـتار، حتى يرى الحياةَ بجانبِ الأقمار.

وأنت يا من سرق لبّهُ الهراء إذا أردتَ الخروج من حفرةِ الهمِّ والدوار فعليكَ التوقف عن الحفرِ ونبشِ جداولِ البؤسِ والندمِ على ما فات.

ابحث عن الحل والصـــواب فما تملكهُ بين يديك يُقدركَ على أن تتجاوزَ الصـــعاب، وتتجاوزَ حدَّ الزمان، فعمركَ محدودُ الثواني يا صاحبي والبنان.

فإليكَ برشدي علَّ فيه نجاة، استخدم حياتك حافزًا لتبني حلمكَ عليها، لا أن تبني حياتك على حُلم، فلا تُبنى حياةٌ على أرضٍ كانت سراب.

ASRUD
للنشر الالكتروني

مـــا هكذا مباهٍ بكم رسول الله

أمةٌ في غياهبِ الجبِّ تحيا، وفي كنفِ الجاهلية تتمطّى وفي العاداتِ الغربيةِ تتباهى، فأنى يكون لنا منها الخير!

فيا أمتي أفيقي، كفاكِ غفلة، قد تمكّنَ وحلَّ العصـــبة منا، إلى متى في زلتهم لا زلتم تعمهون!

يفعلونَ الحرام ويقولون أنّــه رقيٌّ وتقـدّم، يقتلون يتبرون، ويقولون هذا حقنا قد ثأرنا لولينا يدنســون، يســتبيحون، ويقولون مصالح عامة وهذا اقتصادنا، يستحلون، يغتصبوا، ويقولون غلبته شهوته!

بـــــحقِ الله أيُّ هراءٍ كــان ذاك! فمتى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا! منذ متى والقتلُ حلٌّ في عُرفكم! منذُ متى ونحن تغلبنا شهوتنا يا أمة محمد! ويشتكون أن أنزل الله بهم سوء ويتباكون! كأنَّ الله مسهم بسوءٍ منه!

سخفاً بكم فالسوءُ يسوؤكم من صنعِ أيديكم وحاشاه أن يظلَّ أو يظلم، حاشاه أن يتجبّر على عبده الضعيف، وقل لن يمسسكم ضر وهو أرحمُ الراحمين.

فكيف أنتم تنخَـــرطون! وإن أصابَ قومٌ قرحٌ نحنُ دافعوهْ، ولن يغيّرَ الله ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم، فزنوا قسطاسَ دواخلكم وأحسنوا يُحسنُ الله لكم، ويهديكم نعمِ السبيل.

أبلغتُ حتى سـقمت، ســآوي منكم إلى ركنٍ يعصـمني لعلّي أحفظُ بعضــاً من ماءِ عروبتنا وإســلامنا المســكوبِ بجهلكم وإعراضِكم الضال عن سبيلنا المنشود.

خُلقه الصبر وشيمتهُ التواضع

يتيمُ الأب ولد، وما لبثَ في حضـــن أمه الكثير حتى اختارها الله إلى جواره، رباه جده عبد المطلب خصّــه بالحب والحنانِ والعطف وما اســـتمرَ كثيراً ينعمُ بهذا الحب؛ فقد وافت المنيّةُ جده أيضًا.

قدرُ الإنســـان وأن لا مفرَّ منه، فماتَ جدهُ ليتكفلَ رعايتهُ عمّه أبو طالب، كان نعّمَ العم والأب فمكث عنده النبي ﷺ وترعرع في كنفه مع أبناء، ظلَّ عمّهُ يدافعُ عنه حتى بعد النبوّة وظهور دينِ الحق لم يؤمن عمّه، لكنّهُ ما برحَ يومًا عن نصـــرتهِ والدفاعِ عنه.

كان ومازال ﷺ خير من أنجبت النساء فكان لهذه الأمةِ نورها ورحمةٌ مهداةٌ إليها.

كانت المحن تتهاوى عليه منذ أن كان طفلاً لا يعرفُ للألمِ طريق.

من موتِ أمه بين يديه وأمامَ ناظريه في صـــحراء منقطع، وحيداً إلا من أمِّ أيمن بجوارِ أمهِ المسجاةِ أرضاً.

منذ أن حفر القبر بيديه الصـــغيرتين لها كي يواري جســـدها بالتراب، منذ أن بكى أريدُ أمي لما لا نأخذ أمي معنا، منذ أن عاد إلى كنف جده كسير الفؤاد دامع العينين يردد قولاً واحداً (لقد ماتت أمي..)، لم يتجاوز الســـابعة آنذاك، فكان جده عبد المطلب الحضن الحاني له، ولكنّهُ مات أيضًا.

فقدٌ تلوّ فقد، محنةٌ تلوّ محنة، وألمٌ تلوّ ألم وما كان ذلك إلا إعدادً لشـــخصِ النبي وتهيئةً لما هو مقبل عليه ﷺ من حمل لواء الحق، ومبعوثًا للبشريةِ بالتوحيد، أنه لا إله إلا الله.

قد تكفلَّهُ الله، تكفلَ بقلبه، بهمومه وأحزانه ومصـــابه تكفلَ بالتسريةِ عنه والتمكين، كان ابتلاءً من الله ليرى قدرَ التمكين، فمكّنهُ حتى تمكّن، شملهُ برحمتهِ وأعانهُ بلطفه وجميلِ جبره.

كأسُ الحزن والحرمان الذي نأى به مرة تلوّ الاخرى جعلتهُ رقيقَ القلـب، مرهف الشـــعور، راقي الإحســـاس، كريم الصفات، حسن الأخلاق، فطنًا ذكي.

فكان له ﷺ عسراً بعده يسر وإن شابهُ بعض العسر والتعب، علمته تلك المحن تحملَ المسؤولية وليست أيَّ مسؤولية بل مســؤولية أمةٍ بأكملها فكان الإعداد لتحملِ أثقال الرســالة النبوية الشـريفة سـارٍ منذها والتي لا يستطيع تحملها إلا من صـنعه الله على يديه وجبله على تحملِ المسؤولية منذ نعومةِ أظفاره.

كان ﷺ صبوراً، كلما امتحن الله صبره يثبت أن الرضا غنيمة وأن الصبرَ نتائجه عظيمة، وأن ما نراهُ يحملُ شراً يحملُ في طياتهِ خيراً وخيرًا كثيراً.

كان ﷺ القدوة والمعلم وخير من نتبعُ ســيرتهُ ونهتدي بهديه، كان نموذجَ الخُلقِ العظيم، كان الصـــادق الأمين، كان ممن زادتهُ أخلاقهُ جمالاً وبهاء، حتى احتلَ القلوب بالمحبةِ وحسنِ الخُلُق.

نبيٌ كان التواضع شيمته الغراء، إذ أنه رعى الغنم في طفولته ومطلع شـــبابه فتعلمَ أن يكون خيرَ راع رعى الغنم فنمت فيه روح الحلم والصـــبر، فكان من يجمعها عندما تتفرق مثلما جمع أمةً بأســرها ووحد صــفوفها، وحافظَ عليها من أعدائها كما حافظَ على دين ربه ورسالةٍ تم تأمينهُ عليها.

أمّيٌ لا يعرفُ القراءة ولا الكتابة إلا أنه كان نورًا أضـــاء للبشـــريةِ حياتها، أمّي أســـسَ دولة قوامها العدل والرحمة والإنســـانية، أمّي تدينُ له البشـــرية إذا كان لها من الظلمات مخرجاً ومن الضـــياعِ ملجأ ومن الفرقةِ والعذاب مأمن وحماية، أمّي غير التاريخ بحُسن أخلاقه وبديعِ صفاتِه ورقةِ قلبه الصلب وقتَ الشدائد، أمّي تنغمسُ كل نفسٍ مسلمة بين يديه يوم القيامة ترجو منه الشفاعة، أمّي نرجو من يديه شربةً لا نظمأُ بعدها أبداً، أمّي ندعوا الله الجنةَ بصحبته.

ASRUD
للنشر الالكتروني

وأساسُ الحب فقدناه

"حين تخونُ الوطن لن تجد تراباً يحنُّ عليكَ يوم موتك، ستشعرُ بالبرد حتى وأنتَ ميت"

كم صدقَ غسان كنفاني حين نطقَ لسانه وخطتْ أناملهُ هذه الكلمات، انطلق لسانه وأستعفتهُ الكلمات التي كانت دوماً دموع عينيه التي ترفضُ أن تتركَ وطنها.

كيف يخونُ المرءُ نفسه! كيف يبيعُ الإنسان قلبه وكيف لعاشق أن يتنازل عن معشوقة قلبه؟ كيف يخان التراب الذي إليه انتسبنا؟ وكيف يهونُ الطفل لمن حملَتْ به تسعاً وأنجبتهُ وهنًا، وربته عمراً كيف للروح أن تقتل الروح وكيف للخذلان أن يطغى ويفوز؟ كيف تباعُ الأوطانُ بالقروش، وكيف يقبلُ التساوم على أرواحِ الأطفال؟ كيف تُعقدُ المؤتمرات على أنقاضِ الشهداء؟ وكيف تفاوض من يقتل ويسلب ويأسر وينهب دون حق أو حتى شرعية أو قانون، وأيُّ قانونٍ يرضى أن تعيشَ في وطنكِ مهدد، غير مرغوب؟ كيف تعطى الحقوق لمن لا يملك أن يأخذ؟ وكيف يعطي من لا يملك؟ أوليست الأرض لنا ونحن أصحابها! فكيف تبدّلت الأدوار وأصبحنا في أرضنا ضيوف! كيف لزمرةِ خيبر أن تستبيح حقوقنا وأهلنا وحدودنا وأرضنا ونحن نكتفي بالحضور؟ كيف هانت علينا أنفسنا فماتت فينا النخوة والعزة وحين نهض جزءٌ منّا ليدافع عمَّ تبقى منها بتنا عليه كما حرسُ الحدود، زدنا الحصارَ عليه، وحرمنا أطفاله الدواء والعلاج والحياة، سلبنا أمهاته الفرحة، وحكمنا عليهن الخيبة، ورغمَ العزِ والكرامة

والرضا الذي يملأ قلبَ أمٍ زفّتْ ولدها شهيد، فإنَّ خيبةُ الروحِ للروح تؤلم، ألسنا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقي الجسد بالسهر والحمى!

وإن أسقطنا فرض الدفاع وحماية الثغور بعد أن حملوه عنّا، كيف أجهضنا فرض الأخوة وواجب الحقوق وقانون الإنسانية! كيف يخونُ الإنسانُ بلاده!

لله دُرَّ بدر شاكر السياب الذي قال: "أيخون إنسان بلاده؟ إن خان معنى أن يكون فكيفَ يمكن أن يكون؟"

كيف نملكُ أن نقول أننا نعرف قيمة الحب أو كيف يكون؟ فما بين حب وحب، وعشق وعشق، فإن حب الأرض والوطن يجعلُ حبكَ لكلِ الأشياء نقياً أبيض، صافياً، فأي حب نتحدثُ عنهُ أو نفخر به أو نرى أننا نفهمُ معناه، أيَّ حب هذا وأساسُ الحب قد فقدناه؟

ASRUD
للنشر الالكتروني

لنؤسس للحب معًا

أنحبُ الشكلَ أم الجوهَر؟ وهل للحبِ شروطٌ تُفرَض؟ ومن ذا الذي يستحقُ أن نقول عنه أنه للقلب مبسم؟

ما كان الحبُ يوماً إلا من البؤسِ نجاة، ومن الهمِّ فرج، ومن التعبِ راحة، نحنُ حين نحب ننقذُ أنفسنا من أن تُهلكنا الحياة، من أن ينتهي المطاف بنا آخر العُمر نحاكي الجدران، من أن نشقى دونَ أن نجدَ من يخففُ عنّا قسوةَ الأيام وحُلكةَ الليالي، فيشتري الفرحَ لنا ولو كان بأبهضِ الأثمان.

ليس الحبُ لشخصٍ دونَ الآخر، فحبُ الأخ سند وحبُ الأم حضنٌ دافئ، وحبُ الأخت قلبٌ آخر وحبُ الأب كتفٌ إن مالت الدنيا لا يميل، وحبُ الصديق فسحةُ أمل ومتنفسٌ في الحياة، وحبُ الشريك الذي يرضاه الله فيرضِي به القلب حبٌ حلال يغني عن الفتن، ويرحم ضعفَ الإنسان من أن يكون فريسةَ الشهواتِ والمهلكات، حبُ القريب وحتى الغريب وعابرُ السبيل، كلهُ حب من شأنه أن يجعلَ القلبَ له أسير، بالحب وبالحبِ وحده ننجو من مآسي باتت تحيطُ بنا مثل كابوس، بالحب تنتهي الشرور، يتفجرُ من السعادةِ ينبوع، بالحب فقط تداوى الجروح وتلتئمُ الندوبْ، بالحب نبني وطن، ونؤسسُ حضارة ونستعيدُ مجداً.

فلنؤسس للحبِ معاً، ولنبني أجيالاً تتقنُ الحُبَ وتجيدُ لغته، وحده الحب يملكُ لغةً لا تشوبها الكوارث ولا تحرّفها المصائب، وليس للحرب أو الكره عليها من سلطان.

لنحبَ أنفســـنا ونحبَ الناس، لننشـــرَ ثقافةَ الحبْ فقد أرهقتنا ثقافةُ الكرهِ، وأحرقتْنا نارُ الإنتقام.

لنتعلمَ الصـــفحَ والرحمة، فكلُ ما يدخله الحب يشـــرق بوجهٍ بشوش كان وكلُّ ما كانت سِمته العشق يزهرُ ويتورّد.

فاللهم املأ قلوبنا حباً ووئام ..

ASRUD
للنشر الالكتروني

سنشدُّ عضدكَ بأخيك

بعضِ العلاقات ليست النادرة، لكنّها استثنائية وليست بالعادية أو العبثية بل لطيفة، ممزوجة بفكاهية، بالفطرةِ هي، من القلب قائمة، لا يشوبها شائبة أو تُفسدها غائرة.

علاقة تدهشك، تبهجك، وبأحلكِ اللحظات تسندك علاقة لو وضعتَ كل علاقاتِ الدنيا بكفّة وهي بكفّة لرجحت كفتهَ دون منازع، علاقة وطيدة لو طفتَ أرجاءَ الدنيا تستجديهَ لن تجدها أو تجد مثيلًا لها، إنّها علاقة (سنشدُ عضدك بأخيك) علاقة الأخوّة من رحمِ أم وصُلبِ أب، علاقة عفوية، لا غالبَ ولا مغلوبٌ فيها، لا غش أو خداع، لا غدر ولا وداع، علاقة باقية ما دامت بهارج الدم جارية سائرة، علاقة جميلة بنكهة صادقة روحية لا يماثلها ند، تلقائيًا تجدكَ مستجيبًا لها، تلقائيًا تجدُ نفسكَ باسماً بوجهِ أخيك عند أولِ تلاقٍ للعيون حتى ولو بينكم من المشادات الكلامية والمشاكسات اليومية ما بينكم، دائماً لا تفلح أمام هذه العلاقة بأن تسيء، دوماً تتلخّص بكل ما هو جميل، تتقبل فيها كل شيء حتى الخسارة، فلا خسارة في حسابات الأخوّة، بل هي تمامُ العوض هي فرصةٌ لتحبَ لأخيك ما تحبهُ لنفسك.

فليس من عجبٍ قيل:

(الأمان عطفُ الأخ) و (النقاءْ قلبُ الأخت).

فاستوصوا بإخوانكم خيراً.

نجاة إنسان

في حياة كل منّا نجدُ شخصاً يتشبثُ بنا، وبشكلٍ جنوني يريدُ تلمسَ نجاةٍ عندنا، مثل نجاةِ يوسف من لجّ الجُب يومَ أن أُلقيَّ فنُسيَّ، والله لم ينسى، شخصاً قد عصفت به دروبُ حياته فضربت به كلَّ جانب، فباتَ لا يجيدُ غير النُواح فلطفاً بحاله لا تتجاهله أو تلقي به على هامش عمرك، لا تدفعهُ بعيداً عنك وتصدّهُ كمن ناله سمُ لدغة، فقد تدفعهُ إلى الحافة فيكونُ حتفه ولا نجاةَ بعده.

إياكَ أن تتركه وفيكَ الحياةُ له، إياكَ أن تهربَ منه وهو الذي اختاركَ أنت، أنتَ من بين الجميع لتكونَ طوقَ نجاته وملاذَ أحلامه وربيعَ أمنياتِه فلا تتخلّى عنه بعد أن تخلّى الكلُّ عنه، امنحهُ فرصةَ الاقتراب فيتطهر بطهرك، وينال هدى من هداك، ويصحح ما كان من لجٍّ عميّ، فليس ذنبه أن ألقت به الحياة وسطَ كلِّ هذا الضلالِ فضاع.

افتح له قلبك واعطهِ الأمان، سلّمهُ مقاليدَ العفو ولترسوْ سفينةُ الوئام، فأرشده طريقَ الذي استقام ولا تبخلنَّ بأيسرِ المعروفِ معه، ولا تحقرنَّ منه شيئاً، فربّ كلمةٍ أحيّت، وربّ بسمةٍ أشفت، وربَّ لمسةٍ أعادت.

لا تدري، لكن طالما القلوب تآلفت، تحابّت تجاورت، فأحيت بعدها..

كن الملاذ الذي ما خاب يوماً أن استأثر على من دونه، لا تجعلُ يخيبُ فيكَ مثلما خيّبهُ الآخرون فيكفيه ما لقيّهُ من

خيباتٍ ونكسـات أضـمرت وأحرقت، ولتكُن راحته قد حانت، ولتعلن شمس الفرحةِ أن تشرق على روحه بعد سنينَ عجاف ليعيشَ بسلام، فيكفيهِ ما طال.

ولتكُن أنتَ نجاةَ إنسان.

ASRUD
للنشر الالكتروني

كــن أنـت ودعـكَ مـن مـسخِ النُسخ

يا صـــاحبي إننا لا نعيشُ في عالمٍ وردي، إنما هو عالمٌ قد يشـــعلُ فيك النار، وما يلبثُ المطر أن ينزلَ ليطفئها، تنطفئ النار وتترك جروحاً فيك وندوباً قد يداويها الزمن وقد لا يفعل.

لا أحدَ يأخذ كلَّ شـــيء، ولا أحد يســتطيع أن يضــحك طوال الوقت، ولا أحد يملك القدرة على التحكّم في كلِّ ما يُحيطُ به، نحن نخســـرُ أمراً ونُعوضُ بما ينســـينا مرارةَ الفقد، قد يبقى طعمُ المرارة ولكن نتعايش معه ونقبله، فكما نتقبلُ الحلوّ من حياتنا لزاماً علينا أن نتقبلَّ المرّ منها.

فـــلا تسأل شخصاً ما الذي غيّرك؟ فحتى أنتَ تتغير دون أن تلاحظ، تتبدل في الدقائق والثواني، تتغير للأمورِ نظرتك، فأنتَ اليوم لست بذاتِ الشخص الذي كنته قبل عام، ولا حتى ذاكَ الذي حفظته منذ أقل من ثلاثينَ يومًا، ولن تكون ذاته بعد شهر أو عامٍ من الأن.

فـلا تُلقي باللومِ على غيرك، ولا تثقل كاهلَ من تحب، لا أحد منّا يعلمُ كيف يعيش غيره، ولا أحد يعلم كيف وصـــلَ غيرهُ حيث يقفُ مكانـهُ اليوم، لا أحد يعلم كيف جفى النومُ عيونَ الآخرين، وكم من أمورٍ أبكت عيونهم وأدمت قلوبهم وكسرت فيهم ما لا ينبغي أن يُكسر، فرفقًا بمن تحب، فلا أحد يستحقُ أن ينامَ والدموعُ تملأُ عينيه، لا أحد يســتحق أن ينام وفي قلبهِ

غصّـــة أنه ما كان كافياً، لا أحد يســـتحق أن يتذوق الألم مضاعفاً، وأن يعيشهُ بشكلٍ يفوقُ قدرتهُ على التحمّل.

حاول أن تكون اللطف الذي يحتاجه غيرك، حاول أن تُقدم لهم أملًا بغدٍ أفضـــل، كن شـــعوراً يدغدغُ ثنايا قلوبهم، ازرع باليأسِ ثمراً مذاقه حلو وأضـــحِك ملامحًا أتعبها العبوس، كن أنتَ الورد بين الأشـــواك، كن أنتَ الرحمة في زمنٍ ضـــاعت فيه معالمُ إنســـانيةٍ كانت مجبولة ومحبوبة، كن أنتَ الإنســـان الذي لطالما تمنيتَ يوماً قربه، قدِم الحب لتنالَ مثله، وازرع شعوراً لا يُنسى، بل يذكِّرُ في كلِّ لحظةٍ بك، قدّم السعادة لتقدّمَ لك، واغرس الفرح لتحصدَ ثمارَ البهجةِ والخير، أعطِ وجرّب جمالَ شـــعورِ العطاء الذي لا يُنســـى أو يمّل، تعلم كيف تكون الحياة أجمل حين تكون القلوب على بعضـــها وتكون الأيادي متشـــابكة لا تنفصـــل مهما عصـــفت بها رياحُ الظروفِ وعواصـــفُ الحياة، كن أنت ذاك التغيير الذي تريد وتتمنى، وتذكّر أنّ الله لا يغيّرُ ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم.

ابدأ أنت وســـتجد مثلك نســـخًا لا تُعد، كلٌ بطريقته يقدمُ للعالم وردةَ ســـلامٍ وحب، تقضـــي على ما في هذا العالم من شـــرٍ وبُغض، كن أنتَ النســـخةَ المميزة في إعطاء الســـعادة لقلوبِ غيرها.

أنتَ قمةُ الإرادة وطموحٌ لا ينتهي

إلى كلِ طموحةٍ وحالمة في هذه الدنيا، أخطُّ إليكِ كلماتي، إلى كل من ثارت ثائرتُها لبلوغِ العلا وحصـــادِ الدُجى ســـتجدينَ معولكِ في الحياةِ ها هنا.

إلى كل من تاقت للتميزِ والرفعَة، حيث لا نهائي من الصـــبا، ما دمتِ قويةً شـــديدةً، تحملينَ إصـــراراً لا مثيلَ لهُ وعزمًا لا يلين، ستصلين وذلك وعدٌ بعد تمكين.

فاحلمي، ثابري، وكافِحي، ضحيْ كي تصلي السبيلَ المنشود، وليكُن حُلمك المعول لبلوغِ القمّة واستحضـارِ الهمّة، امضـي دونما توقف أو اكتراث بمن حولك، سيري ثابتةَ الخُطى واثقةَ المنى واعلمي أيّما شـخص الذي أنتِ عليه، وما شـخصُـنا إلا نتاجُ عواملٍ مؤثرة ما بين وراثي وبين تفاعل مع بنو البشـــر على مختلفِ الأصناف.

فذُكِرَ عن رسـول الله -صـلى الله عليه وسـلم- تخيروا لنطفكم فإنّ العرقَ دســـاس، والمرءً على دينِ خليله، فلينظر أحدكم لمَن يخالل.

ومن هذا المقام، هل فاتَ الأوان أننا بمكان غير المكان، ومع أُناس غير الأُناس، أن نسلّم وننصاعْ لما كان فنكتفي بما كان ليسير بنا كيفما شاء؟

إليكَ الجواب، والمثال أبلغُ من ألفِ مقال، لنفترض أنّ والديكَ لهما صـــفاتٌ وراثية مختلفة وعقيدة مغايرة للفطرةِ الســـليمة

وبيئة لا تســـتطيعينَ التكيّفَ معها، هل ســـتكتفي بما وُجدتِ عليه؟ تصفقينَ للحال وتحسبيْ أنّ وقتَ التغييرِ قد انقضى؟

أقولها لك وبقوة لا، أنتِ الوحيدة من تســـتطيع التحكّم بحياتكِ أولًا وأخيراً وليس هم، فما دمتِ تتنفســـين إذن تســـتطيعين النجاة، التغيير، إستئناف حياتك بالشكل الذي تريدينهُ أنتِ لا هم، وإليكِ نماذج فذّة تثبتُ بالبرهان أنكِ قادرةٌ على التغيير من شخصك وحياتك وشق دربًا عظيم.

هذا عمر بن الخطاب شـــديد البأس، غليظ القلب في جاهليةٍ مضـــت، البكّاء الدمّاع في زمنِ الإســـلام وهذه أول معطيات الـــــ (لا).

وحشـــي، قاتل حمزة وأفعاله المشـــينة قبل الإســـلام إســـتطاعَ تفاديها واعتناقَ الإسلام) وهذا مؤشر قوي على أننا نحن من يستطيع التغيير وليسَ الأمر للوراثةِ والبيئة.

والأمثالُ كثيرة، والتاريخ يدوّن، كيف تهاوت الوراثة والبيئة أمامَ الإيمان الذي يحملهُ المرءُ في قلبه.

والآن ليس مطلوبـاً منـكَ المعجزات، أو خرقٍ للعواد، بـل مراجعةُ النفس، وطرحُ السؤال هل يمكن أن أكونَ أفضل مما أنا عليه؟ وكيف لي نحوّ سبيلِ التطويرِ والتغيير؟

إن أفلتَ أنتْ فمن ذا يعتصم

ربمَّ حانت منّا التفاتة إلى الوراء، حيثُ كنّا، حيثُ كان الصحاب، حيثُ شخصنا الذي غادرناهُ هناك فانسحبَ منّا كأنّ لم نكنهُ يوماً.

يجتاحنا الحنين إلى نقاءٍ افتقدناه، وبهجةٍ كانت ملقاةً بالروح تُفعمُ الجسدَ بالحياة، وتهدي لسبيلِ النجاة.

وها نحن نسعى إلى أشياءٍ وأشياء؛ علّنا نعود أو نستعيد ما كان أو كنّاه، أتقنّا البعض وحصدنا من الجهد، لكن الجُلّ كان قد سُلب، فأيُّ عودةٍ ستكون وبأيِّ جرمِ سندانٍ هذه المرّة بعد أن ألقينا ببقيةِ أحلامنا في الجُب، بعد أن سمعنا قصةَ يوسف والعوض، علّهُ تمُّر بها أحدُ السيّارة فتحملها معها وتحققها عوضاً عنّا، ونظنُ بهذا أن قد فلحنا.

وأيُّ حماقةٍ تلكَ كانت؟

نرمي بجهدِ عمرٍ أفنيناهُ ليأتيْ غيرنا فيتبناهُ، ويتمَّ الخطوةَ الأخيرة، فينصبُ كالأبطال.

فماذا عنك أنت منها؟

ماذا عن جهدكَ ووقتكَ وما استزفتهُ حتّى وصلتَ الجبَّ وألقيتَ فيه ما ألقيتْ؟

هل أُصبتَ بوابلٍ من اللعنات، أم صُبَّ عليكَ راجمٌ من الحسرات؟

يا صـاح إن لم تكمل أنت فمن ذا يصـونْ؟ وهل يصـانُ من في الجبِّ بعد أن ألقاه؟

يا صــاح الدنيا دنياك، والطريق طريقك، والحُلم حلمك، الحلم ما زال فيكَ غياث، فاصــدح بأعلى صــوتك: "أنه ما كان ولا عاش من باعَ حُلمه وأضــاعَ جهدهُ بسـويعةٍ هوجاء كحفنةٍ من تراب تناثرت مع الهواء".

فما بالهم، كيف يُحكِمون!

ASRUD
للنشر الالكتروني

ربّ كلمةٍ رماها الإنسان أهلكت قلب إنسان

اللســـان نعمة، لكنّه قد يؤولُ إلى نقمة، نقمة جهنمية لا تُغتفر بعد أن قهر، فهل تفكّرنا يوماً ماذا ســـنقول أو ماذا يمكننا أن نقول ليكونَ ما فيه لطفاً للناس؟

وهل يوماً ســـعينا لانتقاءِ كلماتنا؛ كي لا تؤذي أو تجرحَ قلب إنسان وأن تكونَ بلسمًا فحسب، بلسماً من قسوةِ هذا العالم المحض؟ وهل يا ترى راقبنا يوماً كلماتنا التي نتفوهُ بها، كيف هي وأين وقعها؟

أوليسَ أحق بنا أن نكونَ كمحمد ﷺ وصحبه أوليس الله القائل في كتابه الكريم: {وقولوا للناس حُسناً..} فأين نحنُ منها؟

أتدرون رسولكم الكريم ما فعل وقال يوم أن بال أعرابيٌ في المسجد وهمّ الصحابة ليبرحوه أرضاً!

دعوه، وصبوا الماء كي يتطهّر، ولكم هنا الوِقفَة والتأمّل.

وهاك لي بسمعك أخبركَ عن عمر بشيءٍ من هذا القبيل، يوماً أبصـــرَ الفاروقُ قوماً يشـــعلون ناراً فأرادَ مناداتهم لأمرٍ في نفسه، فقال: "يا أهـــل النـــور، لم يقل يا أهل النار، خشيَّ أن يُحزنهم بهذا القول في ذاك المقام أو يؤذيهم فيوقعُ غصّـــةً في قلوبهم فخرجت منه: (يـــا أهـــل النور).

وهذا الحسن والحسين وكم لهما من مناقب خيرٍ كُثر، ففي يوم قابلا رجلاً لا يحســـنُ الوضـــوء ففكروا كيف يعلماهُ دون أن يوقعا حزناً أو ضيقاً في نفسه فاقتربوا منه وقالا له أحكم بيننا

من منّا لا يحسنُ وضوءه؟ وعندما رأى وضوءهمْ أدمعت عيناهُ حباً وامتنان وقال: "أنا والله الذي لا أحسنُ الوضوء"

فما كانت إلا محضُ كلماتٍ بسيطة، صادقة من القلب، كلمات كانت كفيلة بتغيير مجرى الكثير والكثير، كلمات كفيلة بإدخال البهجة على القلوب، فلا تحقّرنَ من المعروفِ شيئاً ولو كان كلام فمهما قلّ العُرف تبقى الكلمة الطيبة صدقة.

فلنرفع كلماتنا لاْ أصواتنا، المطر الذي يُنبتُ الورد لا الرعد، ازرعوا في داخل الناس شيئاً جميلاً بقولكم ولين كلامكم، فإن لم يكنْ حباً ومودة فليكنْ قدوةً إحترام، و تذكر أنه من سارَ بين الناس جابراً للخواطر، أدركهُ الله من المخاطر، فكونوا للناس جبوراً لا كسور.

ASRUD
للنشر الالكتروني

طيف إنسان

الحياة أســـراب من الحكايا، حكايا مجهولة لا يعلمها إلا من عايشـها والباقي جُهالٌ بها، حكايا مرقوعةٌ بألف رقْعة، حدباء وعددٌ غير محصى من الخيوط المتشابكة الصماء.

لا نلومُ الحياة فهي أقدارُ المولى المنّان وما علينا غيرُ الرضى والله خيرُ المسـتعان، ربمَّ اللومُ يقع على الإنسـان، الإنسـان فحســب فهو المقداد، نتجاذب نتخاطب، نتخاصـم، نبتعد ثم نقترب، ندنو حدّ الموت ونرنو حدّ الخُلد ولا شـيء، أوهام تولّدُ شـقاق تحفرُ آفاق، وتُحفِّزُ آثامْ تلوّ آثام، قد هدمت حياة وأرهصـت بينهم البنيان، فتنافَروا وباتت القلوب مُهاجرة هنا، ورياحين يانعة هناك، عقولٌ بائسـة أجسـادٌ منهكة، عتمةٌ غاشية وظلامٌ دامس يدسّها ولا خلاصَ لثرثرةِ البُلهاء.

تفاصيل الحكايا ستبقى مجهولة، فقط نزعاتٌ منها تخرجُ على غير هدىً، تتخبطُ بالأرجاءْ ولا أحد يفهمُ العنوان أو يسـطعُ أن يقتبسَ جوفاً كان عناوين مسطّحة، منزوعةَ الحياة، تراتيل بائسة مصقولةُ العزاء، ونهمات يائسة غير مجديّةُ النُواح

يتظاهرونَ بالفهمِ لكلِ شـيء وهم دونَما ذلك دونْ أضـاعوا ذواتهم بعدَ ما أضـاعوهمْ، سـوءٌ أصـابَ بعد سـوءٍ ارتحل، فواجعٌ تلاقت بعد أن تآمرت وبالفعل قد أجادت، نجحت ببراعة بفجعِ القلب حتى رانَ لا يبالي بمصـاب، فقدٌ خابَ كلَّ مظانٍ للقلبِ كان.

تجاهل ما هو خامد وامضي

فـي الحياة لا تُعذّب نفسكَ بصغارِ الأمور وما يُضير؛ فلنفسكَ عليكَ حق ألا تُحزنها أو تضيّقَ بها.

فلا تثيرْ الغبار الســـاكن في جوفِ قلبك فينقلبُ عليك، ولن تستطيعَ أن تمنعهُ من الولوجِ إليكْ وهو والجٌ حقاً.

أولم يجدُّر بك منذ البداية ألا تحركه ما دامه ساكناً دعهُ يبرحُ هويْنة فسـيمضـي، وهكذا هو حزنك ابقيه قابعًا في عمقك لا تحركه، تجاهلهُ وسـيتلاشـى أبد أويضـركَ أنها خامدة! لا تشـعلها واسـتمتع بحياتك أجل خذها مني واسـتمتع بحياتك، فحياتكَ أرقى من أن تحزن أو تبتئس، ابتسـم رغمَ ما ألمّ بك فلعلَ غيركَ رآك مُرنّمًا، طرحَ الكآبة خلفه وترنّما متبسـماً، فلا للحزن أو التشكّي، أسمعتَ فيمن أفنى عمرهُ متشكياً؟ ظلّ مكتوفَ اليدين، معصـوب العينين، يردد حاربني الزمان، وآهٍ ممن تأسيّا، إذا لم تقم أنتَ ممَّ فيك فمن ذا الذي يقيمكَ!

فأنظر، انظر لما حولك، انظر لما هو مشـرق في حياتك، انظر لما جباكَ من خُلقٍ ونِعم، تأمّل أحوال أممٍ جافت، لو نظرتها ما سركَ فيها كنفاً أو موتًا فكن قانعاً وارضـى، اسعد وقل الحمد لله بمليء فيّك وتعالَ أهمسُ في أذنك شـيء: "أنتَ في الحقيقة من تصـنعُ فرحكَ بقربكِ من الله، تقبلكَ لذاتكْ، بتعاملكَ اللين مع الناس، تبني تصـوراتٍ جميلة فيعطون انعكاساتٍ محببةٍ لطيفةٍ مستساغة.

فكن سيدَ نفسك، وأطلق العنانَ لروحك أن تتبسم.

يا الله أرني أنظرُ إليك

كل من تسأله سيجيبك لكن الفرق أن هناك من سيمنحكَ الأمل وآخر قد ينزعُ منكَ اليقين، فليسَ الجميع يملكُ حُسن الإجابة لذلك اسأل من أعطاه الله من فضلِ علمه وواسعِ خلقه وغمرَ قلبه نورا، فيا الله أرني أنظرُ إليك.

نولدُ على فطرةِ الإسلام وعلى ما نشأ عليه آباؤنا نكبُر، ونعتنقُ ما يؤمنون به وما يؤمنون به من الأديان، نخافُ التفكير فقد يخرجنا عن ملّتنا ومْا نشأنا عليه، نخافُ من السؤال وكأننا إذا سألنا يصبحُ منّا ديننا بريء ورُغمَ كلِّ هذه العادات والتخوّفات التي غُرست فينا يخرجُ من يفكرُ خارج المسموح ولكن تفكيرهُ يبقى سراً حبيسَ صدره؛ خوفَ الفضيحةِ أو الإهانة والكلام الذي سيتناقله عنه الناس.

فهناك من يحيدُ بفكرهِ عن الصواب، ليس لأنه يريدُ ذلك ولكن غيابُ العلماء القادرين عن الإجابة بطريقةٍ شافية، يساعدُ العقل على الإنحراف، فبدلَ أن يجدَ من يعينهُ ليصِل للصواب، يجد من يملكُ عصبيةً غيرَ مشروعة، إذ لم يكن الدين يومًا يُحرمُ السؤال، فلم يأتِ الإسلام لينافيْ عقولنا ولا ليتعارضَ معها، لقد جاء موافق لها، معظّم لها يعلي من شأنها.

وبين ما تزرعهُ الترّهات والكلام الذي لم يُنزل الله به سلطان، وبين علماء لا يحملون من العلمِ إلا إسمه، وإسمه منهم براءة، يُهمشُ العقل، ويتّهمُ صاحبهُ بالضلال، حتى تجدَ العقل الذي

هو أداةُ الإنسانِ لإبصارِ نور الله يخفُتُ ضوؤه، وتحيطُ فيه الظلمة من كل جانب، فبدل أن يصل لدربِ الحق، يضيعُ في غياهبِ الإلحادِ والظلم، فيصبحُ بحقِّ نفسه ظالم وجاني، ولكن الجاني الحقيقي هم أولئكَ الذين حملوا لواء الإسلام كونهم به أكثر علم ولكن اعمتهم العصبية والعظمة والغرور عن فهمِ دينٍ عظّم التواضع وأجلَّ الرفعةِ لله وأمرَ بالدعاءِ بالحسنى لا الإكراه.

فكم من قلبٍ هُدمَ بإسم الإسلام تقواه، وكم من عقل يبحثُ عن نور خالقه بجهلهم أودوا به للهاوية والإنحدار، لا أعمّم فلطالما كرهتُ التعميم، ولكن وما يجعلُ العين تدمع أنهم باتوا كثيرين، أما أصحاب العلم الحقيقين باتوا متهمينَ بالتساهل في حق الله.

اختلفت المقاييس ولكن سيبقى نور الله ساطع وسنجدُ دوماً من يحمل الله في قلبه وعقله.

الإكراه ليس قوة، والعنف ليست دليل جبروت وسلطة والرحمة ليست ضعفْ بل لينٌ وخُلق.

زواجٌ هو لا مضغةٌ تُلاك

جاءني يوماً طالباً منّي قرباً وسائلً أن أعطيه فلذةً مني تحت ما أباح الله وهو النكاح، سألت فكان أن أعطيته بعد أن عهدته أن يحفظَ ودّها ويصونَ عيشها ويكرمها.

ما تذمّرت يومًا عليه أو اشتكيت أو طلبت أو زدت أعطيته فلذة كبدي، بل وزدته في العطية أنها حسنة المعشر، راضية، بشوشةُ المحيا.

ذكّرته أنها وصية رسول الله، وأنه لا خير في رجلٍ تباهى وطغى برجولته على إمرأة وقد كانت زوجته، أخبرته أنها هشّة رقيقة، فسألته ألا يضرّها أو يكسرها، استحلفتهُ ألا يأتي عليها يوماً فيظلمهَا، طلبته أن يكون لها أباً وأماً وأخاً وصديقاً قبل أن يكون زوجاً.

فوصيتهُ بها خيرًا من بعدي، نال العطية وبرح الهيمنة، حتى تثبت ركنه وباتت صغيرتي زوجه وكان قد نفذ بعض كلمات من جملة ما أوصيت فما لبث كثيراً حتى كشّر عن أنياب سباعه ومخالبها فباتَ الوديع ثائرٌ قاسي والحليم غاضباً مستعصي والطيب الرفيق عدو يتربص بكَ الزلّة، خلع عنه قناع المودة والألفة وظهرَ قناعُ الحقيقة المرّة الذي لا يحملُ في قسماته إلا كلّ زيفٍ وغلّة.

فكان قد قسى وتجبّر وجارَ وكسر وصغيرتي تتستر علّها تصل لحل، لكن الأمر ليس بمطاعها ففلت زمام أمرهما وحان للمستتر أن يظهر للعيان دون نقصٍ أو انحراف،

فاجتمعت الجموع لفهم الميسر، وإعادة موازين الأمور، وإصلاح فجة البعد، وتليين جانب الود، ونصب العدل واستحقاق الكل، لكن لم يكن بالسهل؛ صغيرتي كبُرت قبل أوانها وباتت قادرة على تحديد حياتها واتجاه مناصِها وما لاقتهُ قد أساءَها وأذهبَ كل ودٍ كان بينهما، فلم تكن تبرح عن وصاله وكسب رضاه، غير أنهُ ردعها حتى خاب رجاها فيه، فلم تعد تأمن قلبه ولا روحه على نفسها، أما عنه فكان بجحاً مستكثر، مستكتب، بارع الخداع، ممارساً للزيفْ فكان منه أن يكون خلاصهم الفراق، فقد سأم ويريد المغايرة ومعاصرة الموضة وتتمات صباح مساء.

بات طريق الرجوع سدًا منيعاً لا يقدرُ اقتحامه إلا التقيُّ الأمين، فوقع الفراق وهو أبغض الحلال لكنه النجاة، فلم يكن راعياً لله حق فيها.

فأعدتُ حبيبتي لكنَفي من جديد، وهل للبنيةِ حضنٌ دون حضن أبيها، فاستسمحتُها عذراً أني لم أحسن لها الخيار، فما كان منها إلا قبلة ندية على الجبين وبسمة رضا بوجهٍ بشوش وقول قدر الله وما شاءَ فعل (سيأتي العوض، زدتُ عناقي لها فغاصت هي داخلي، شكرتُ الله وسألته السلوان لها بما ابتلاها وأودعته إياها.

حتى جاء العوض، وأكرمها الله بخلٍّ ذا خلق ودين بمن ارتضى الله رباً والإسلام دينًا ومحمد رسولاً قولاً وفعلًا، ظاهراً وباطناً، فراعى حق الله فيها وأكرمها فكان عوضاً جميلاً، وجبراً عظيماً.

فمتى ما فهمنا ديننا ونهجناهُ بشكلٍ قويم؛ أيقنّا أن الزواج ليس متعة، شهوانيات وأهواء وتفريغات ورغبات أو قيود، أدركنا أن الزواج ليس كبث وسلطة ونهر وعلاج نفوس مريضة وتتمة كماليات، أدركنا أن الزواج ميثاق غليظ، شرعةٌ من الله عليك أن تراعي حق الله فيها، إنه أُنس، إنه مودة ورحمة، ولطفٌ خفي، إنه تناغم وانسجام روحي وجسدي، قائم على تفاهم وحوار وأسسْ قويمة، بعيدًا عن ما صورته لكم الدراما الخبيثة (فاستوصوا في نسائكم خيراً) وهذه كانت آخر وصايا رسول الله وكأنه أيقن أنها ستدان، فأوصى بها علّهُ يجد من يقدّر الوصية، ويكون على قدرِ حملها، فيعملُ بها فهنّ المؤنساتُ الغاليات.

ASRUD
للنشر الالكتروني

تاريخ ممجد نتلوه في حقبة من الزمن

منذ الحروب الصـليبية إلى سـقوط الدولة العثمانية حقبة من الزمن لا بدّ أن تروى، قصص لا بدّ من قصّها، وتاريخٌ لا بدّ من أن نستشـهد به لعلنا نستعيدُ مجداً نحنُ أهله وذويه، إذ لا يخلو التاريخ من نقاط لنا لا علينا، فنحن أمة لها تاريخ يشـهدُ لها، أمة منها عمر الفاروق وخالد، منها صلاح الدين وأبطال رُفع لهم شـعراً، أمة كان لها أوفياء إلى يوم أن كتب الله لهم لقائه فيه: فإما الحياة بعزة وكرامة وإما الموت كراماً، أبطال دافعوا عن دينهم، وضـحوا لأجل أوطانهم وأمتهم، أسـماء حفظها التاريخ، صنعت مجداً نتغنى به ونحلم بمن يعيدُ أمجادً طوتها صـفحات الكتب واشـتاقت لها قلوب أضـناها الهزائم والخيبات وخذلان من ظننا أنهم يحملون من شـيمِ البطولةِ شيئاً.

في التاريخ تفاصـيل؛ تفاصـيل كانت في حقيقة الأمر هي الركائز الغائبة عن كثير ممن قرأ أو حتى عاصـروا تلك الحقبة المفصـلية من تاريخ العرب والمسـلمين، تفاصـيل صـنعت التاريخ ومجّدت الحقيقة وأعلّت من شـأنِ الأمة والحضارة تفاصيل على أساسها شُيد التاريخ وأقيمت أوصاله تفاصـيل بلغ مجد الأمة فيها القمة، تفاصـيل فتح الإسـلام فيهَا مشـارق الأرض ومغاربها، تفاصـيل ترويها العدالة والقوة التي تغلفها الرحمة والإنسانية، تفاصيل تحكيها أسوار المدن التي فتحوها، ويقصُّـها عليك أولئك الذين قدم لهم الإسـلامُ كل أوجه الحياة الكريمة، يرويها لك المسلم والنصراني وأصحاب

كل المعتقدات الأخرى التي عاشت في ظل أمة الإسلام الحق أمة العدل والرحمة والإنســـانية، أمة يحق أن تفخر بانتمائك لها، فاللهم أعد فينا صـــلاح وخالد والفاروق، وأعدنا بك أمة قوية بالحق وبتطبيق عدل تتناقله البشـــرية وتتغنى بقيمهِ الإنسانية، اللهم رحمةً منك لنسطّرَ التاريخ بحروفٍ من ذهب كما اعتدنا تسطيرها دوماً.

ASRUD
للنشر الالكتروني

الدنيا دار ابتلاء المؤمن

ما دامت الدنيا دار ابتلاء، فإن الابتلاء طويل على حدها، ومن هذا الابتلاء ألا تكون صحيح الجسم ومن الابتلاء ألا تكون آمن.

(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون..).

لأن حياة المؤمن ابتلاء فظاهر هذا الحرمان، فما الموقف الكامل الذي يجب أن يقف عندهُ المؤمن عندما يبتليه الله؟

هو أن تسأل الله العافية.

وإليك بالدعاء المذهل في الطائف لرسول الله حينما مشى على قدميه من مكة إلى الطائف ما يقارب ثمانمائة كيلومتر، كي يدعو الناس ليدخلوا الإسلام ومن ثم يكذبونه ويستهزئون به ويغرون صبيانهم فرموهُ بالحجارة حتى سالت الدماء من قدميه الشريفين، فدعا دعاء يحتاجه كل مسلم:

(يا رب أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا رب المستضعفين إلى من تكلني إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولك العتبى حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع).

الأدب المذهل كان هناك (لكن عافيتك أوسع..) فسلوا الله العافية، الاكتفاء، الستر، الصحة.

و لأننا في دار ابتلاء ولأنَّ من خصائص الابتلاء النقص في المال، في البنين، في الصحة، سلوا الله العافية، الاكتفاء، الستر، الصحة.

سلوا الله رحمته ورضاه فمن نالَ رضاه نال جنانه وباتَ من أحبابه وهيأَ الله له عظيمَ الأجرِ والثواب اصبروا فما الدارُ الدنيا إلا إلى فناء وما الفوزُ إلّا فوزُ الجنان.

ASRUD
للنشر الالكتروني

خمس دقائق عبثية

منذ أن التقينا في المرة الخمسين بعد الألف ذاك اللقاء العبثي الغريب الذي لا يفارق ذاكرتي، لا أنساه ولا أكفُّ عن التفكير في تلك الدقائق الخمس التي جعلتني أعودُ في العمرِ أعواماً، وأفتشُ في أوراقِ ذاكرتي التي كنت أقسمت أن أنساها، تلك الدقائق البغيضة التي جعلتني أفتحُ أبواباً كنتُ أنا من أغلقها وعاهدتُ نفسي أن أنسى أين كنتُ قد دفنتُ مفاتيحها.

خمس دقائق، خمس دقائق جعلتني أكبر في كل يوم عام، وازداد في كل مرة إيماناً بأن لا شيء قد يحدث، ولن يتغير في المسرحيةِ أي مشهد، وبأني سأكون مجبراً أن أُأَدِيَّ دوري وإن لم يعجبني ما يُكتب، وحين أجلس وحيدة، تتزاحمُ أفكار كثيرة في رأسي وتتكاثرُ الأسئلة المؤرقة المميتة، كتلك الخلايا الغريبة التي تغزو أحدهم، تستولي مكانً ليس لها، تفرضُ نفسها؛ لتحركَ رياحً كانت ساكنة، نسمة باردة، دافئة، كانت تعطيني حيزاً من الشعور بالرضى، بالقبول بتقبّل كل ما سيأتي برضى وقلب صبور ونفس تعلم بأن ما يجري قدرٌ محتوم.

تجتاحُ كل تلك الأسئلة عقلي، تستولي على أفكاري، وتستمر بالتأصل في أعماقِ، منتظرة جواباً يمحي مرارة كل ذاك الإنتظار.

فكيف لخمسِ دقائق أن تسحقَ روحك، أن تكسر فيكَ ما كنتَ تظنُّ أنه لا يُخدش حتى!

كيف لبضـــعٍ من الزمن أن يجعلـك عـاجزاً حتى عن رفع رأســك! كيف يصــبحُ الوقت الذي كنت تنتظره هو ذاتهُ كأسُ الحنظلِ المّر! كيف لجزءٍ من الزمن أن يقتل وردة تنبت منذ أعوام ليسـت بقليلة العدد! كيف تموت الحياة في شـخصٍ كان جلّ ما يُحكى فيه أنه أبهى صور الحياة وأجملها!

دقائق قليلة جعلت منّي طيراً مكســـور الجناح لا هو بالميت فيرتاح من آهات كل هذه الآلام ولا هو بقادرٍ أن يحلق عالياً، حيثُ كل شـــيءٍ ما زال في الإمكان، دقائق في ذاكَ اللقاء العبثي، جعلتني شــخصــاً لم أختاره، وإنســاناً لم أعتد عليه، جعلتني أنـا بصـــورةٍ لا أعرفهـا، حتى حين تعكس المرآة صـــورتي أقفُ عاجزةً في التعرّف على ملامحِ وجهي، أو ربمـا هي رغبـة في أن أُنكِرَ ذاك الوجـهَ الـذي خُـذل، وتلـكَ الملامح التي باتت مملوءة بكل أشــكال الوجع أو، أو، أو، أو لأسـبابٍ كثيرة، منها ما قد تكون أسـبابً واهية لا صـحةَ لها ولا واقع.

ربما كانت هي رغبتي بالانتقام من نفســـي بأن جعلت من لا يستحق أن يكون جزءاً من تفاصيل يومي، وشخصية أساسية من شــخصــياتِ مســرحيتي، ربما هي رغبة بأن أنســى تلك الفترةَ العبثيـة من عمري الـذي ومنذ تلـك الـدقـائق الخمس لم أعد أعرف إلى أي رقم وصلت، ولا أي مرحلة قد تجاوزت، وربما لأسبابٍ كثيرة يخونني التعبيرُ عنها، ربما.

أحاول تجريدي من كل ما حدث، من ذاك الشـــعور بالخيبة والألم بأني وهبتُ أعظم ما لدي لمن لا يســتحق، وبأني قبلتُ

أن أكون شـخصـيةً ثانوية، وأنا لا أسـتحقُ إلا القمّة والأولوية في كل شـــيء، فأنا ومنذ ذاك الوقت عاهدتُ الله بقلبٍ تملأهُ الندوب أن أكون أقوى، وأن أعود أفضـل، وأن أنســى أني قد خذلتُ نفســـي يوماً، وأن تبقى تلك الندوب لتذكرني بأنِي لا أســـتحقُ إلّا الســـيرَ في الأمام بجوارِ من يؤمنون بأنني فعلاً إستثناء.

ASRUD
للنشر الالكتروني

أيقظت رصاصتك قلبي

في الحرب كنّا على قيد حب، الحرب فيها حكايا تحملُ آلام وفينا آمال، تحملُ شوكة وتبقى غصة وترهقُ جسداً، وتوجعُ قلباً، وتحرمُ عشقاً، وتبددُ حقيقةً بوهم.

يوم عن يوم كان يراودها بالكلمات، فتشفعُ له سيل الغياب، وجرفًا من الاشتياق، كان يغازلها بعتاب ويروقهُ ذاك وهو متيمُ الفؤاد، يترقبُ مرآها ورؤية قسماتها وثورةَ غضبها، وأن تكون مصادفتها آملاً بنجاة وانتهاء لحروب طاحنة، ضروس هوجاء يتلهف لأن يرى بسمتها ومراوغةَ عينيها أمام ناظريه، فهي زوجته، ومن وهبَ القلب لها فكانت المصون.

كان أول لقاء دونَ موعد أو ترتيب، لكنه خلدَ إلى أبد الآبدين، بأن كان مرتع ليولدَ عشق دفين، متمم بعقد وشرعةٌ في الدين، لكنه ما لبثَ الكثير حتى انقطع بلا هوادة كما حل، فقد ارتحلَ صاحبه.

أوجعَ دون إرادة ومضى دون هوادة، لم يترك سوى ورقة ملطخة بالدماء، وبضع كلمات تصيب القلب بصاحبه، و يا للأحزان، فقد مضى شهيد وقلبه مستريح، فيا للقلب عندها قد هرم، فقد مات الخليل، وارتحلَ اليوم شهيد، وغداً بجنةِ الخُلد سيزفُ لحورِ العين.

ربما هذه هي الحكاية، حب لم يكتمل، عشـــق لازال مرتهن، وبوح يصـــدح دون أن يندمل أو يســـتر، حروب تلو حروب، وكانت الفاقدة وكنت المفقود.

رحل هو حيثُ الســـماء، وبقيت هي حيثُ الأرض كان عزاؤُهما أن الله يرعى كليهما.

ASRUD
للنشر الالكتروني

لستُ نزقاً أكتبْ

كل منّا يحيا حياته كما يتراءى لنظره، يحيا حياته بما تحملهُ له، وبما تدورُ به حوله يحيا ويواجه بما تُعطي بمختلفِ ألوانها، حباً كان، شغفاً، نوراً، أملاً ، أسًى، ضعفاً، ضياعاً، ظلماً، ألماً، انكساراً، خُذلاناً، كل هذا وذاك يحيا، ولو عافر الحياة بكل ما أُتِي من جماع القوى لن يقدرَ أن يتجاوزَ شيئًا كان قد قُدِر له دون أن ينالَ منه نصيباً.

وفي الخضم، هناك من أدرك غايته، فتغافل عن ترّهاتِ البشر وأخذ يسعى باحثاً يترقبُ مجاديفها؛ لكي يتشبثَ بها فيُقلع بسفينةِ الكفاح في سبيل تحقيقها بعد أن بدأ يحثّ الخُطى لأجل بلوغها، حتى بات ذائباً على العمل؛ رغبةً في إحرازها فكان له النصيب منها فكان مع من فلح وفاز.

وفي النظير هناك من قطع مشوار حياته في جمعِ أموال، واتباعِ أهواء، وخلقٍ للمشكلات وإزهاقٍ بالأرواح، فزادوا عثواً في قلوبنا بالفساد وكأنهم ليسوا بشراً، بل محضُ فتاتٍ من سواد.

وكأن الحياة التي خطّها التاريخ لهم تنحصر في حروف معدودة: "أرحام تدفع وأرض تبلع" وهنا وقفة، وقفة لنتدارك قلوبنا فنُصلح أمة غزاها الفساد وأوشكَ أن يؤدي بها إلى الهلاك، فنعيدُ السيطرةَ على زمامِ الأمر ونبدأ بتشييدِ دربِ النصر.

فقط نحتاج إلى سـفر بتذكرة واحدة ذهاب بلا إياب، إقلاع بلا عودة فلا عودة بلا مكوث نحتاج جواز سـفر جديد يعلن بداية ميلاد لقلبٍ تليد ومريد.

نترقبُ في محطاته وقفاتٍ ولقاءات وإشاراتٍ من الله، ورسائل كل يوم تُوجّـه علّنـا نتنّبـه لهـا فنفهم فحواها ونتجنـب عُقبـاها قلوب بحـاجـة لإعـادة تـدويرهـا من جـديـد علّهـا تعود أو على الأقـل تســـتـذكر أن رب الخلق يُمهـل لا يُهمـل، وهتـافـات، صـــرخات من الأعماق تنادي هنا الله هنا، النعيم هنا، الحب، وكل ترتيل تهمس جوار قلبك بـــــهسـيسِ المحب الحزين أن اقتربْ و عُدّ، فالله يحبك وسوفَ يرضى عنكَ ويرضيك.

كـــل شـــيء يحتاج منك وقفة وتفكّر ومن ثمّ انطلاق، ولكن رجاء لا تطيل الوقوف على الأطلال، والتفكير في كل مدار فربما يفوتكَ قطارُ العمر وأنت لا تزال واقفاً فتكون بِئس من اختار.

لستُ نزقاً أكتب إليكَ، لكن (أُمـتـــــي.. أُمـتـــــي..) لا زال صداها يتردد في أعماقي هل راعينا قدرها وكنَّا أهلاً بها! هلَّ أصلحنا قلوبنا لنحسنَ تلبيةَ النداءِ يومها!

روح بلا جسد وجسد بلا روح

في الكثير من الأحيان، تجبركَ المواقف على أن تتخذ دوراً ليس لك وأن تتقمصَ شخصاً ليس أنت، وأن تعيشَ دوراً لا يليق بك، لكن لأنكَ مجبر تُساير تراود الغايات عن نفسك، تكمل الدور ببراعة وحدٍ كبير من الثمالة والسذاجة الغير مبررة، تقتل الشخص الذي فيك، تمحو تفاصيلك، تنحت على جبينك شخصً ليسَ أنت، تضيع في تلكم تراهاتٍ وتضيع ولا عودة أو ندية للجبين.

قُتلَ الطفل الذي فيك قبل أن يكب، ووأدَ الحُلم الذي تملك قبل أن يسطع أو يخرج للأفق، مات كل شيء فيك غير معالم بائسة طاغية على نحلك.

لله دره القلب الذي تحمل، لله دره الحلم الذي دُحض

لله درها الروح التي فتت، ولله دره من عمرهُ فنى

حياة هي مليئة الأسرار، وكنا نتبع وهج أمنيات

حتى نأينا وذُبنا في فيافي الهيجاء بلا لقاء، حتى بتنا تحت عنوان روح بلا جسد وجسد بلا روح وكلٌ للآخر توّاق.

بالقلبِ شكوك، تساوِركَ الشكوك

تأخذ بك الظنون إلى ما لا ينتهي

تعيش واقعك لوحدك ولا أحد يعلم ما ألمّ بك

ترتجف جفونك وترتعش نبضـــات قلبك ولا أحد يمســـد أو يسـطع خلق الوصـل إليك أو سـبيلاً تغادر روحك إلى حيثُ تشـــتاق، وبلحظة يقظة ترتطم بأربعة جدران، حيث أنت محشور بينها

وحيد، بائس، تعاني من خذلان وجحف كان، في القلب حديث يأبى أن يطاوع البنان، فيخرج عن مقلتي والعنوان، في القلب إحســـاس لا يترجم بحكاية أو حرف أبجدية، فقد عجزت الحروف عن الوصف ورانت الأبجدية أمامها تستخلص سردًا من الحكايات، في القلب شـعور لا يفسـر، حب لا يقدر، لكنه يأبى أن يتحدث، في القلب مجرات ومجرات من الشـــوق والحاجة إلى البوح، في القلب جرف من الحنين، أطنان من لوعة البعد، وورع من بؤسٍ حجف.

ASRUD للنشر الالكتروني

عشرين.. عشرين

ما عاشه العالم خِلال عشرين، عشرين هو حكاية من الزمن مُرة غير مستساغة ومع هذا لا تخلو من بصيص أمل.

إنها أواخر عام ألفين وتسعة عشر، ليالي ديسمبرية باردة، السحب تملأ السماء، الليل طويل والشمس تستعجلُ الرحيل، كل شيء رغم البرد يشعرك بالدفء، كل القلوب بالحلم تكبُر، تتهيأ الأحلام لعام جديد يمحو قسوة أيام مضت ويسطر ذكريات أيام لن تعود الأمل يكبر والغد بإذن الله سيكون أجمل بكثير.

كوب القهوة الدافئ، رائحة الأرض التي عطرها المطر، لؤلؤ السماء الذي يتساقط ليجُبّ خيباتٌ كستْ القلوب ويختلط بدموع تأّمل بأن يُحدثَ الله فيما هو قادم خيراً وتباشير عام جديد تبتهل القلوب ليكون عاماً يحمل من الخير الكثير.

ولكن لا تجري الرياح بما تشتهي السفن ديسمبر الذي يوشك على الرحيل يحمل في آخر أيام له مفاجأة ستغير مسار العالم وسترسم للزمن طريق ما اخترناه وما ظنّنا أن نلقاه، مفاجأة ستكشف المستور وتوقع الأقنعة وتكشف ترهات قيلت ما أنزل الله بها من سلطان ،أيام ستكون مرة، أيام لن يكون فيها للقلب فرحة، أيام ستؤجل بها الأحلام لأجل لا يعلمه إلا الله، أيامٌ ستكون ثقيلة تُنهكُنا وتسَلبُ حياةً لطالما تذمرنا من وتيرتها فتطلعنا أن تنطويَّ وما علمنا أن تلك الأيام لن تكون إلا عمرنا، ولن تصنف إلا على أنها ذكريات ستكون على

أقل تقدير أفضـــل مما ينتظرنا، هذا حالنا نحن بنو الإنســـان؛ أطفالاً نكون نســـتعجل أن نكبر، نحلم بالمســـتقبل ونحاول أن نعيش العمر قبل أوانه وحين نصل لنقطة المنتصف منه نقف لنبحث عن طفولة أضـــعناها، وعن حلم ما كان إلا تجربة لن تكون سـهلة ولا مسـتسـاغة جداً، ولكن لا مجال للعودة فالأيام ما إن تنقضـي لا تعود والعمر الذي نسـتعجل مروره قد يكون أجمل سنون هذا العمر.

ASRUD
للنشر الالكتروني

إنـها أول أيام يناير لعام عشرين...عشرين

بدأت أول نوبات العام الجديد فبيدّ أن أناس تحتفل بعام أتى وآخر انقضـــى, وأناس تهلك تحت وطأة وباء يفتك بالصـــغير والكبير، وباء فرق الابن عن أبيه والأخ عن ذويه والناس عن بعضـها وكأن الاقتراب إنذار خطر سيودي بحياة الجميع، في ووهان في بلد يقع في النصـف الشـرقي من الكرة الأرضـية يُصـــــارعُ الناسُ لأجل البقاء وتتباعدُ الأجســـــادُ خوف من الهلاك، يعزل البشـر ويدفنون أحياء وأمواتْ؛ أحياء يسـكنون المنـازل ويخشـــون لحظـة الهلاك، وأمواتٌ يدفنون أو حتى يُحرقون دون أي مراسـم للوداع ودون النظرة الأخيرة لعزيز لن يرى نور الحياة فهل لك أن تتخيل مرارة بداية هذا العام؟

يناير كان شرارة البداية وفبراير سيكون موقدا يشعل من بعده العالم لنصـــبح جميعا تحت وطأة الخطر وبين براثن بركان سيثورْ في أيّ لحظة فلا يبقي ولا يذر.

ASRUD
للنشر الالكتروني

مع بداية فبراير لعام عشرين... عشرين

أصبح كوفيد _19 الحديث رقم واحد في العالم، السياسيون يتنبؤون بما سيكون عليه حال العالم إن انتشر هذا الوباء، منظماتُ الصحة تستعد لأي طارئ وتحذرُ من ويلات هذا الوباء إن هو انتشر، الاقتصاديون يحذرون من كارثة اقتصادية وأزمة لن تكون بالعادية إن انتشر وباء كوفيد _19، الوزارات والحكومات تنبه المواطنين لأخذ الحيطة والحذر، الدول تستعد بأقصى إمكانيات تملكها للحد من هذا الخطر ، الدول تطلب من رعاياها بعدم السفر حيث الوباء ينتشر جميع الرحلات إلى الصين توقفت، كل التعليمات تقتضي أن نكون أشد وعي حتى نتجنب، وبتخطيط لا نعلم أي عقل خلفهُ وأي أدمغة صاغته الوباء انتشر ليصبح العالمُ كله تحت وطأة ورعب كوفيد _19.

إننا على أبواب شهر مارس فها هي السحب تنقشعْ والليل يقصُر والشمس مشرقة والدفء بدأ ينتشر والربيعُ يطرقُ الأبواب لتُفتح له، علّه يحمل معه بعض من البشر.

ASRUD للنشر الالكتروني

مارس لعام عشرين... عشرين

من أخذ الحيطة والحذر، والدعاء و الإبتهال ألا يصـــل إلينا خطر كوفيد - 19 فلابد من مواجهة الأمر الواقع، إذ بدأت تظهر أعراضُ المرض على شعوب أخرى فمن بعد و وهان لندن وروما, موسكو وواشنطن ومنهم لكل شعوب الكوكب الأزرق، الوباء بات حقيقة ملموســـة ولابد من بدء إجراءات أقوى للســـلامة، فيعلن الحظر الشـــامل، تُغلقُ المدارس والمحلات، تتوقف كافة الصـــناعة والتجارة، يلزم الجميعُ منازلهم، يعاقب كل من يخرج من منزله لغير ضـــرورة قصوى بمقتضاها حياة أو موت، وعود بأنها فترة لن تطول ووقت مؤقت لنخرج من هذه الأزمة بأقل الخســـائر، أغلقت المســـاجد والكنائس، توقفت رحلات الطيران، منعت الإجتماعات والمناســـبات، ولزم الجميع بيته خوف من أن يكون في إحصـــائية تعداد المصـــابين الذي تصـــرح فيها الحكومات في كل البلدان، وبين مصـدق ومكذب لما يسـمى كوفيد - 19 يلتزمُ الجميع بالقانون وتصـــبحُ البيوتُ التي من فرط الهدوء فيها قبل شـــهر أو اثنين مكان صـــاخب تعمهُ الضـــوضـــاء، ومع اختلاف وجهات النظر والتحليلات التي يقتضـــيها الوضـــع يطلُ أبريل بدفئه ليعلن فصـــل آخر من فصول الحكاية.

أبريل لعام عشرين... عشرين

لم نتجاوز بعد ثلث عام 2020، لكن العالمُ لا يتوقف والحوادث وإن قلت لم تُعدم فبعيداً عن كوفيد-19 الذي يصنفُ على أنه الحدث الأبرز هذا العام، والشغل الشاغل لجميع دول العالم، خاصة بعد أن أصاب أكثر من مليوني شخص وقتل أكثر من 130 ألف آخرين، شهد العالم كوارث أخرى إذ لم تنجو الأرض من الحرائق التي اندلعت في مناطق متفرقة من العالم الذي بات فعلا غريب، إذ شهد العالم العديد من التظاهرات والتوترات بين الدول كادت تؤدي إلى اندلاع حروب وكوارث طبيعية، وكأننا نحنُ البشرُ لا نتعظ، فبدل أن نتعلم من مصائبنا تجدنا نبتكر مصائب أخرى نوقعُ بها أنفسنا، ماذا نفعل إنهم البشر أسوأ مخلوقات هذا الكوكب الذي لم ينجو منهم ناج، وها هو أبريل يحملُ أمتعته ليستعد للرحيل مودع، تاركا لنا نحن البشر أنفسنا لعلنا نفلحُ في كفح جماحها، ودرء أخطائها ودحض مصائبها.

ASRUD للنشر الالكتروني

مايو لعام عشرين... عشرين

ما زال العالم يكافح ليخرج بأقل ضـرر من كوفيد - 19 ومن كوارثه اللامنتهية، أعداد المصـابين تتزايد.. كثير منا ينام فلا تشـرق شـمسـه، يودع الكثير من الناس أحبائهم، الوضـع غير مسـتقر، الأحداث تتوتر، دائرة الوباء تتسـع أكثر، وقلة الحيلة تسيطر على الوضع، ما زال التباعد سيد الموقف وأساسه ما زال الحب يقتضـــي التباعد عن من تحب ما زالت الحياة مقتصـــرة على جدران البيت حتى مللناه، اشـــتقنا للمدارس وأصوات الطلاب كل صباح، اشتقنا لصلاة الجماعة.

تبتهل قلوبنا لخالقها بأن نرى من اشـتاقت لهم أفئدتنا، نشـتاق الفرح ليدق طبوله في منازلنا، اشـــتقنا الحياة التي عددناها عادة اعتدناها وألفناها حتى مللناها فملت منّا ومع قلة الحيلة ينطوي شهر آخر ينبأ بشهر قادم لا يعلمُ خباياه إلا الله، نستقبل يونيو وكلنا رجاء ألا ينقضـي شـهرُ الصـيام إلا ويكون العيد اثنين عيد بعد فرحة الصـيام وعيد نسـترجع فيه الحياة، وليس لنا إلا الأمل والثقة بالله.

يونيو لعام عشرين... عشرين

نحن البشـــر أخطر من أي وباء، قلوبنا الســـوداء تلوث كل شـــيء، عنصـــريتنا تســـلب أبســـط حق، بدائيتنا رغم تطورنا المزيف تودي بنا حيث لا عودة ولا خيط أمل نتبعه فنهتدي به، في بلاد الحرية تســـتباح الحريات، وفي بلد الديمقراطية تتســاقط الأقنعة ويبان للعالم زيف الشـعارات، هناك حيث يقع تمثال الحرية قتل بطريقة لا إنسانية..

مواطن ينتمي لتلـك الأرض يحمـل هويتهـا ولـه حقوقهـا أو بعض منها؛ فهو ذو لون عن الآخرين يختلف، وهذا كان ذنبه الذي به قتل ولأن الضـــمير وإن مات لدى الكثيرين إلا أنه ما زال عند البعض حي يرزق خرج للشـــارع الكثيرين ممن يحملون الضمير لا يريدون إلا حق إنسان أستبيح حقه، ولكن في دولة لا قيمة لحياة الإنســـان إن اختلف لونه أو عرقه أو جنسه أو دينه تباد كل الاحتجاجات بالقوة، ويصمت العالم من جديد وما الجديد فهو الذي لطالما صـــمت أمام قهر الكثيرين وظلمهم، ومع اشـتداد وباء كوفيد - 19 وسـقوط قناع الحرية المزيف يرحلُ يونيو مودعا لنســـتقبل (يوليو) لعله يحمل لنا بعض من الأمل.

يوليو لعام عشرين... عشرين

وباء ينتشـر، وحروبٍ تسـتمر وما زال الإنسـان يهدد وجود نفسـه، لا علاج ولا دواء للوباء الذي يفتكُ بالآلاف، بل بالملايين.

و يا لجشـع الإنسـان وطمعه ونفسـه التي تهوى الكوارث والمعاصـي والمصـائب، في بقعة بالشـرق الأوسـط الذي ينزف، يحتفل أحد أقذر من شـهدهم هذا الكوكب بانتصـاره على الشـرعية، بل يؤكد أن النصـر كان هبة الله له ولمن أيده وندم، يحتفل الظالم بانتصـاره ولا يعلمُ أن الله يمهل ولكن لا يهمل.

يوليو ليس اختلافا عما سـبقه من عشـرين.. عشـرين، يوليو اسـتمراريةٌ لمهزلة بشـرية مقنعة بقناع الإنسـانية، ككل الذي انقضـى من عشـرين.. عشـرين، ينقضـي يوليو، و يبدأ (أغسطس).

ASRUD
للنشر الالكتروني

أغسطس لعام عشرين... عشرين

للحكاية فصـول لم تنتهي، لم ينتهي الظلم ولكن خبت صـوت المظلوم، لم ينتهي الوباء ولكن أصـبح لزاما أن نسـتعيد شـيئا من الحيـاة ..كيف لا والاقتصـــاد في الـدول النـاميـة وحتى المتقدمة ينهار ومؤشـــراته متدنية بشـــكل يخافه أصـــحاب الكراسي والقرار.

فجيوبُهم تخاف الفقر رغم الامتلاء، بدأت الحياة شيئا فشـيء، ولكن حياة لا تشـــبه ما اعتدنا عليه، ولكن نقبلُ القليل لعلنا نُبشـــر بالكثير، ولأن القصـــة تتكرر لننهي أغســـطس ونبدأ (سبتمبر) مرحبين.

ASRUD
للنشر الالكتروني

سبتمبر لعام عشرين.. عشرين

الوضـــع يســـوء ولا جديد، كوفيد بات ســـلاح يســـتخدم ليبيد الشعوب ويزرع فيهم الخوف ويعزز لديهم الصمت والخنوع والقبول، لا جديد، فالوضـــعْ يســـوء، ولا كاشـــف الغم الذي نعيشه إلا خالق هذا الكون العظيم.

ســـبتمبر يرحل، وقد ترك في القلوب غصـــة وحنين، غصـــة على حال قد يطول، وحنين لنعم لم نكن نقدرها حق قدرها...

ASRUD
للنشر الالكتروني

أكتوبر لعام عشرين... عشرين

رأس العالم مصـــاب بالوباء لكن لا داعي للخوف فســـيادتهُ يخضع لأفضلِ سبل الرعاية الصحية والعلاج.

العالم ينهار والموقف حرج والوضـــع لا يبشـــر، الناس ملت الانتظار والوعود.

لم يعد كوفيد-19 هو الكابوس فما يعيشه العالم من قلة فرص. وضـــياع للحقوق وانعدام للإنســـانية خطرٌ أكبر يهدد وجودنا وأحلامنا وحتى استمراريتنا ..

الحروب لا تزال قائمة، والمآســـي مســـتمرة والغمة لا تزول والفرج لم يأتي، ووحده الله يعلم متى يحين وقت الحصـــاد ومتى يأتي العام الذي فيه يغاث الناس بعد ســـنون عجاف عاشها ..

أكتوبر ما زال في بدايته والقادمُ منه في علم الله وحده ولا نقولُ إلا أن يكون ما تبقى منه يحملُ الفرج، فقد اشـــتاقت للفرح قلوبنا والأحلام المحققة حياتنا...

ASRUD للنشر الالكتروني

عشرين... عشرين

توشـــك على الإنتهاء، ويقال العبرة في الخواتيم، من يدري لعل النهاية تكون أجمل وتختم الحكاية في آخر فصولها ببهجة مهولة، يقف الجمهور من بعدها فرحا يصـــفق بوجه تعلوهُ ابتســامة تقاوم المرارة وتتحدى اليأس لتفتح للحياة باب الأمل الذي طال إغلاقه.

ASRUD
للنشر الالكتروني

الخاتمة

يا قارئ كتابي.. رفقاً..

تمهّل حين تقرأ الكلمات؛ فإن ما بين يديك نُسجَ بكلِ حب.

تمهّل عند كلِّ حرفٍ وقِف، قف عند كلِّ كلمة وتأمّل، صُـــلْ وجُّل، استجلب واستحضر نفسكَ وكأنكَ في غياهبَ أُخر.

وإن لم تسعفنا حروفنا في التعبير إلا أنها اقتربت مما يصولُ ويجولُ فيّا وفيك.

فارحم قلبكَ وهوّن عتابكَ عليّ؛ حروفي من القلبِ خرجت بالحياةِ أُشـــبعت، لكن لا ترجو حراكها أو مِدادً لها فالكلماتُ سكونٌ وجماد.

فلا يغرّنكَ التشـــكيلُ بالنهايات، لكن يغرّني قلبكَ المليءُ بالمعطيات لمواصلةِ الحياة.

فخذ بمجامعِ كلمي وأفسح بها ضبابةُ صلدة كانت قد غشت الأنام.

والسلام عليكَ يا صاحبي حين وصلتَ الختام.